رسالة في علم النجوم

هل الشروع فيه محمود أم مذموم؟

تأليف

الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت
الخطيب البغدادي
المتوفى ٤٦٣ هـ

ويليه

الوصول إلى القمر

تأليف

الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز
رحمه الله تعالى

ويليه

أين القمر

تأليف

الشيخ المحدث حماد بن محمد الأنصاري
رحمه الله تعالى

تحقيق واعتناء

طارق محمد العمودي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban


ISBN 2-7451-4431-6
9782745144317 90000

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com



مقدمة التحقيق

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أكتب مقدمة هذا الكتاب المبارك في وقت ذهول عقول الناس على جميع مستوياتهم وطبقاتهم بوفاة فقيد الأمة الإسلامية الإمام، العلامة، العامل، الزاهد، بقية السلف، سماحة الوالد: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نسأل الله له الرحمة، والمغفرة، والفوز بالجنة، إنه سميع مجيب.

أكتب هذه المقدمة في وقت هذا المصاب الجلل، والكلمات قد زاحمتني، والقلم خانني وقت حاجتي له لأُعبّر عن عميق حزني بوفاة شيخنا الجليل، وإنَّ موته لثلمة العصر... لا سادَّ لها.

ولا أقول في حقه إلاَّ ما قاله محدّث الحجاز في وقته، نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي في حق خاتمة الحفاظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني رحمهما الله عندما علم بوفاته، فقال حالفاً بالله للحافظ السخاوي أنه كان يودُّ لو عاش الحافظ ابن حجر، ويموت هو، وعلَّل ذلك بقوله: «لأنَّ موتي موت شخص واحدٍ، والحافظ ابن حجر يموت به علم السُّنَّة، وقد قال قائل:

لـعـمـرك مـا الـرَّزِيَّـة هـدم دار ولا فـرسٌ يـمـوتُ ولا بـعـيـرُ
ولـكـنَّ الـرزيَّـةَ مـوتُ حُـرٍّ يـمـوتُ بـفـقـده بـشـرٌ كـثـيـرُ»[١]

كانت تلك كلمات رأيت من حق سماحة الوالد عليَّ أن أقولها في حقه، أقل وفاء مني له، رحمه الله، وسقى مضجعه، وبالرحمة عمّه.

وأما كتابنا هذا، والذي أتشرف بالاعتناء به، فهو ظاهر من عنوانه يتكلم عن «علم النجوم» بجانبيه المباح والمحظور، وهو موضوع هام داخل في باب العقيدة، فكان إخراجه إلى عالم الطباعة والنشر مناسب، ليأخذ حقه من بين كتب أئمتنا المطبوعة، وخاصة أنه لإمام حافظ كبير، كانت جُلّ كتبه المطبوعة تدخل في علم الرجال، وفنون مصطلح الحديث، بخلاف كتابه هذا الذي يدخل، كما أسلفت، في علم العقيدة، بل وظهرت شخصية الحافظ الخطيب من خلال كثير من تعليقاته واستدراكاته فيما سيراه القارىء، وكان هذا في حقيقة الأمر أحد الأسباب الرئيسية التي دفعتني لخدمة الكتاب ونشره بعد إذ كدت أن أقف عن إخراجه لكون نسخته المخطوطة ـ الوحيدة فيما أعلم ـ محذوفة الأسانيد إلا ما نذر وشذ، ولكنني تراجعت لأسباب هي:

ـ رأيت أنه لا بأس من إخراج هذا المخطوط ـ المحذوف الأسانيد ـ لكونه يمثل الصورة القريبة للأصل المخطوط، حيث يسد فجوة عدم وقوفي على الأصل المسند، والذي يظهر أنه مفقود، وذلك لأن كل من أشار إلى كتاب الخطيب هذا من الأخوة الباحثين والمحققين[٢] يشير من حيث لا يعلم في أكبر ظني إلى هذا المخطوط ـ المحذوف الأسانيد ـ وكلهم أجمعوا على وجوده في تركيا في مكتبة «عاشر أفندي» وذكروا رقمه، ولعلهم اغتروا من العنوان كما حدث لي، فإذا ما تصفحت المخطوط وجدت الأسانيد محذوفة إلاَّ من ذكر الصحابي، وقليل نادر من ذكر النصوص مسندة وأكثرها في

---

(١) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي (٢/ ٣٢٨ـ ٣٢٩).

(٢) مثل: بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (١/ ٥٦٤ الملحق)، والدكتور محمد صادق الحامدي محقق المتفق والمفترق للخطيب (١/ ٤٧)، وعادل العزازي محقق الفقيه والمتفقه للخطيب (١/ ٣٩)، ولعلهما تابعا بروكلمان.

الأبيات الشعرية، وليس على طرة المخطوط ما يشير إلى اختصار الكتاب، ولا من جانب المختصين بالمكتبة، مما أوقع الوهم المشار إليه.

ـ ثم رأيت كذلك أنَّ حذف الأسانيد يعوّض من خلال ما سأقوم به من تخريج النصوص وعزوها إلى مظانها، وغالبها مدوّن في كتب الأئمة، وجانب آخر قد أخرجها المصنف مسندة في مصنفاته الأخرى المطبوعة بحمد الله.

ـ وكما أسلفت، فإنَّ الخطيب في كتابه هذا أشبه عمله بالتأليف مع وضوح الصنعة الحديثية فيه، فتراه يُعلق ويستدرك، وظهرت عباراته وأسلوبه التعبيري، فهذا مما زاني على مواصلة العمل لإخراج المخطوط إلى أن يوفقني الله، أو غيري من الأخوة، إلى الحصول على المخطوط المسند، لعله في زاوية منسية من مكتبات العالم.

وقد سبق الخطيب علماء في تصنيفهم حول موضوع «علم النجوم».

كابن قتيبة في كتابه «الأنواء» وهو مطبوع، والمرزوقي الأصبهاني في كتابه «الأزمنة والأمكنة»، وهو مطبوع، وغيرهم كثير[١]. إلاَّ أنهم يذكرون في مصنفاتهم أقوال العرب وأسجاعهم وتجاربهم مع النجوم، وغيرهم من الأمم السابقة، فهم صنّفوا تلك الكتب عن النجوم من باب أنه علم وخبرة أخذت به الشعوب، وتكلموا في الجانب الذي يفيد منه مما لا يتعارض مع الشرع. أما الحافظ الخطيب، فهو وإن شاركهم في ذكر ما سبق، ولكن في نطاق ضيق فيما أراد هو إيراده للاستشهاد به كما يدل ذلك لمن طالع الكتاب، وزاد بأن ذكر الوجهة الشرعية في الموضوع مستدلاً بالكتاب والسنة وأقوال أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم، وأبرز شخصيته في الموضوع، وبيَّن المباح من المحظور في تعلّم وتعاطي «علم النجوم»، وأنَّ الأصل فيه الذم.

وأصل الكتاب جواب لسؤال ورد للحافظ الخطيب في هذا الموضوع، فكانت ثمرة ذاك السؤال هذا الجواب الثمين الرصين، والذي أتى على

(١) وقد أورد محققوا كتاب «الأنواء» لابن قتيبة جدولاً تفصيلياً لمن ألّف كتاباً باسم «الأنواء» فانظره فإنه مفيد، ويستدرك عليهم كتاب «الأنواء» لابن أبي الدنيا.

الموضوع من جميع جوانبه وأركانه.

النسخة المخطوطة المعتمدة في التحقيق

هي نسخة فريدة ـ فيما أعلم ـ محذوفة الأسانيد، كُتبت بخط واضح كبير، وتقع في (١٩) ورقة، والذي اختصر أسانيد الآثار يضع بدلاً منها كلمة (وأخرج) أي الخطيب، ثم يذكر اسم الصحابي أو القائل ويذكر النص، كما وضع حواشي جانبية سماها (مطلب) كأنه استفادها من خلال قراءته، ورأى إثبات المطلب له ولغيره من باب الفائدة والدلالة.

والمخطوط من مقتنيات مكتبة «عاشر أفندي» بتركيا (١/ ١٩٠) والنسخة واضح أنها متأخرة التاريخ في نسخها[١].

نسبة الكتاب لمؤلفه

الكتاب ثابت النسبة لمؤلفه، ومشهور عنه:

ـ فقد ذكره عنه ممن ترجم للمصنف، أو تعرض لموضوع كتابه:

١ ـ محمد أحمد المالكي في كتابه «الفهرست» (١٨/ ٦ مخطوط).

٢ ـ ابن قاضي شهبة، نقله عنه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٥٧/ ١٣٩ مخطوط).

٣ ـ ابن الجوزي في «المنتظم» (٨/ ٢٦٦).

٤ ـ ياقوت في «الإرشاد» (٤/ ١٩ـ ٢١).

٥ ـ والذهبي في «السير» (١٨/ ٢٩٢)، و «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٤٠) وذكر أنه في جزء، وهو مصيب.

---

(١) وقد حصلت على المخطوط عن طريق مجلة «الحكمة» العلمية الشرعية، حيث إن لهم مكتب في تركيا لخدمة الباحثين الذين يريدون الحصول على صور لمخطوطات مكتبات تركيا، فجزاهم الله خيراً.

٦ ـ الكتاني في «الرسالة المستطرفة» (ص ٤٠).

٧ ـ بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (١/ ٥٦٤ الملحق).

ـ زد بأن هناك من اقتبس من كتابه واستفاد منه أمثال:

١ ـ الحافظ العراقي في «شرح التبصرة والتذكرة» (٢/ ٣٦).

٢ ـ السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٣١٩، ٣٢٠، ٤٨٢)، (٤/ ٢٢٥).

٣ ـ مغلطاي في «إكمال تهذيب الكمال» (١/ ١٨٠)، وهو ليس بين يدي وإنما استفدته من محقق كتاب «الفقيه والمتفقه».

٤ ـ الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٢٢١).

٥ ـ السخاوي في «فتح المغيث» (٣/ ٢٦٩ـ ٢٧٠).

٦ ـ السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٣ـ ٦٥) وغيره من الصفحات، وقد أكثر عنه.

٧ ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف الشامي ـ من تلاميذ السيوطي ـ في «مزيل اللبس عن حديث رد الشمس». وكل ما ذكروه موجود في مصورة المخطوط، ولله الحمد[١].

اسم الكتاب

اختلف في اسم الكتاب، فهناك من يذكره باسم:

ـ ذم النجوم، كالحافظ في «الفتح».

---

(١) ثم وقفت بعد صفّ الكتاب؛ اقتباساً للإمام النووي رحمه الله من كتابنا هذا وذلك عند كلامه على حديث عائشة والذي فيه: «استعيذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب». حيث ذكر تعليق الخطيب البغدادي على الحديث الموجود هنا وللعلم فالحديث ضعفه النووي. انظر «فتاوى الإمام النووي» لتلميذه ابن العطار (ص ١٨٦).

- النجوم، كالسيوطي والكتاني.
- القول في النجوم، كالذهبي والسبكي.
- القول في علم النجوم، كالعراقي.

وهذا يدل كله على تصرف الأئمة واختصارهم لاسم الكتاب، ما عدا الحافظ ابن حجر فإنه لم يرد ذكر مادة الكتاب مجرداً وهي (النجوم) القائم موضوع الكتاب عليها، وإنما أراد أن يبين بأخصر عبارة الحكم أو الغالب والطابع العام على الكتاب عن ماذا يكون، فاختار الذم، وهو الصواب، وهذه من مميزات الحافظ كما لا تخفى.

وجاء على طرة المخطوط هكذا:

«هذه رسالة في علم النجوم هل الشروع فيه محمود أو مذموم»، ثم يوجد خط فوق حرف الجر «في» وكتب فوقه «حكم الاشتغال».

فكأن العبارة أُريدت أن تكون هكذا:

«هذه رسالة حكم الاشتغال في علم النجوم هل الشروع فيه محمود أو مذموم».

وسواء كانت الأولى أو الثانية، فواضح من الناسخ إحدى اثنتين: إما نقله ما وجده في الأصل الذي اعتمد عليه هكذا، أو تصرفه واختياره لعنوان يدل على فحوى الرسالة استقاها من مقدمة الكتاب عند بداية خطبة المصنف، وعليه فقد اخترت العبارة الأولى بحذف اسم الإشارة «هذه» كعنوان للكتاب، وبالله التوفيق.

وأخيراً، فقد اعتنيت بالكتاب ـ حسب الطاقة ـ بما سيراه القارىء، مما لا داعي تسطيره هنا.

هذا ما لدي: «ونسأل الله العصمة من الخطأ في جميع الأمور، والعفو عن زللنا برأفته إنه رحيم غفور»[1].

---

(١) من مقدمة المصنف لكتابه «المتفق والمفترق» (١/ ١٠٦).

«والله حسبي وعليه اعتمادي، وهذا مبلغ ما عندي، ولا آلو جهدي»[١].

«وإلى الله الاستناد، وعليه الاعتماد، ومنه الاستمداد، وإيّاه أسأل أن يعافيني من شر المفاخرة، وأن يقرّبني لما يرضيه في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب، عليه توكلت وإليه أنيب»[٢].

«والله أسأل أن يحمينا جهل الجهال، ويكفينا سائر المهمات بالمغفرة في الماضي والحال والاستقبال، بمنّه وكرمه»[٣].

وكتب/ طارق محمد العمودي
خريج كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
الدمام/ السعودية ٢٩/ ١/ ١٤٢٠هـ

(١) من مقدمة الحافظ الذهبي لكتابه «المغني في الضعفاء» (١/ ٥).
(٢) من مقدمة الحافظ ابن حجر لكتابه «الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع» (ص ٥٨ ـ ٥٩).
(٣) من مقدمة الحافظ السخاوي لكتابه «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» (ص ١٤).

ترجمة موجزة للمصنف

هو الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ(الخطيب البغدادي) صاحب المؤلفات الكثيرة، أشهرها «تاريخ بغداد».

ولد سنة (٣٨٢هـ)، وكان والده خطيب (درزيجان) من سواد العراق، فحرص على ولده هذا وأسمعه في الصغر سنة (٤٠٣هـ)، ثم ألهم طلب علم الحديث، ورحل فيه إلى الأقاليم، وبرع وصنّف وجمع، وتقدّم في عامة فنون الحديث.

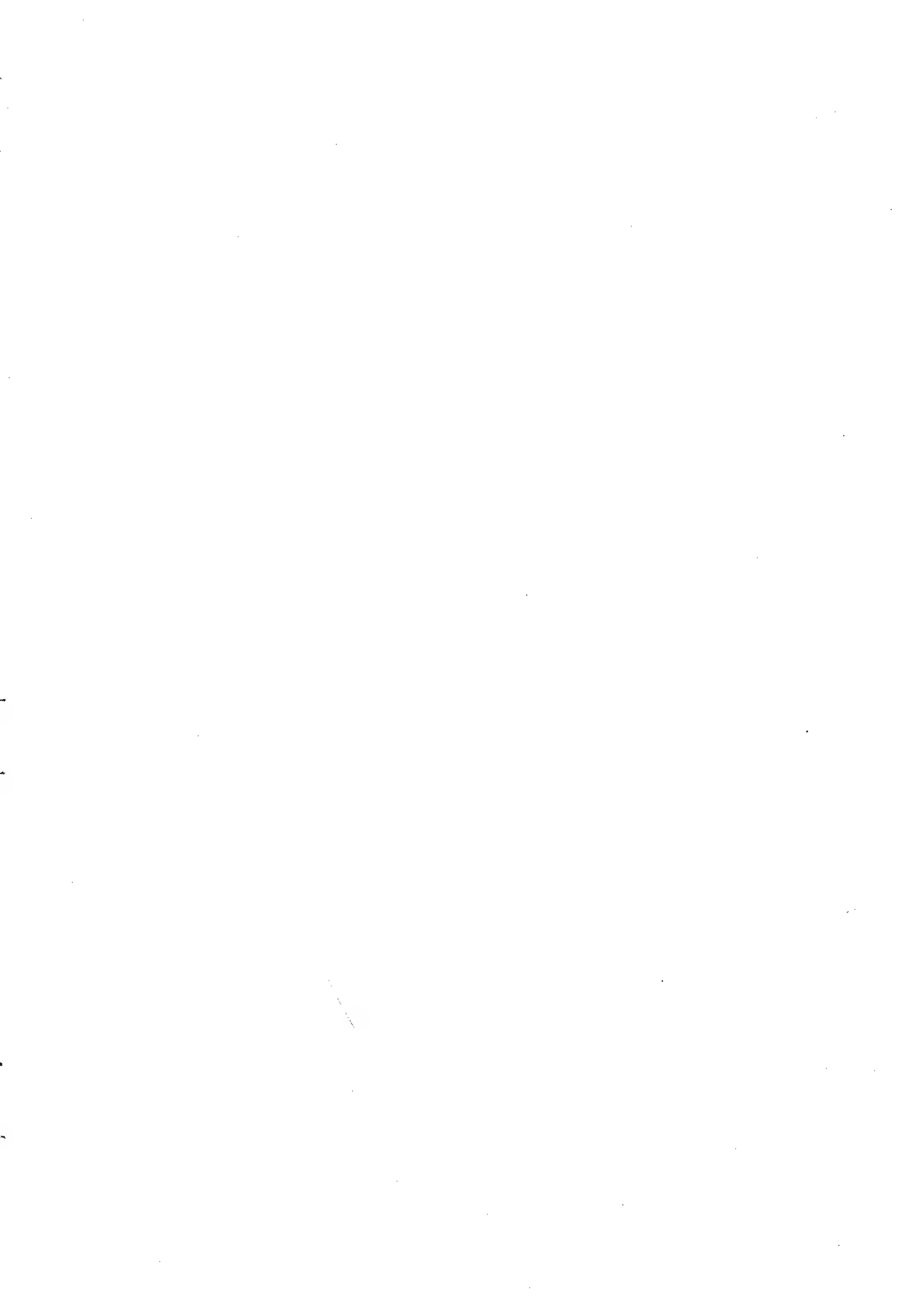
سمع جماعة من المحدثين الثقات في مختلف البلاد، في بغداد، والبصرة، ونيسابور، وأصبهان، والدينور، وهمدان، والكوفة، والحرمين، ودمشق، والقدس وغيرهما، وكان قدومه إلى الشام سنة (٤٥١هـ)، فسكنها إحدى عشر سنة.

وروى عنه جماعة من الحفاظ منهم شيخه أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد البرقاني شيخ بغداد، قال ابن ماكولا: «كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظاً وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وتفنناً في علله وأسانيده، وعلماً بصحيحه وغريبه، وفرده ومنكره ومطروحه. ثم قال: ولم يكن للبغدادين بعد الدارقطني مثله».

صنّف في الفقه وبرع فيه، ثم غلب عليه الحديث، وكان فصيحاً جهوري الصوت، حسن القراءة، مليح الخط.

وكان قد تصدّق بجميع ماله، وهو مائتا دينار على العلماء والفقراء، وأوصى أن يتصدّق بثيابه، ووقّف كتبه على المسلمين، ولم يكن له عقب[١].

(١) استفدت هذه الترجمة المختصرة الجامعة بحذافيرها من قلم العلامة الألباني حفظه الله لمقدمة تحقيقه لكتاب «اقتضاء العلم العمل» للمصنف نفسه رحمه الله.
وأما مصادر ترجمته:
سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠)، الأنساب (٥/ ١٥١)، تبيين كذب المفتري (٢٦٨ـ ٢٧١)، فهرست ابن خير (١٨١ـ ١٨٢)، المنتظم (٨/ ٢٦٥)، معجم الأدباء (٤/ ١٣ـ ٤٥)، اللباب (١/ ٤٥٣)، الكامل في التاريخ (١٠/ ٦٨)، وفيات الأعيان (١/ ٩٢)، دول الإسلام (١/ ٢٧٣)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٥)، العبر (٣/ ٢٥٣)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٥٤ـ ٦١)، الوافي (٧/ ١٩٠)، مرآة الجنان (٣/ ٨٧)، طبقات السبكي (٤/ ٢٩ـ ٣٩)، طبقات الإسنوي (١/ ٢٠١)، البداية والنهاية (١٢/ ١٠١)، النجوم الزاهرة (٥/ ٨٧)، طبقات الحفاظ (٤٣٤ـ ٤٣٦)، شذرات الذهب (٣/ ٣١١)، هدية العارفين (١/ ٧٩)، الرسالة المستطرفة (٥١)، تاريخ دمشق (٢/ ٧/ ١٢ـ ١)، المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٨٧)، تذكرة الحفاظ لابن عبد الهادي (٤/ ٢)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٥٤ـ ٦١)، تاريخ الخميس (٢/ ٣٥٨)، طبقات ابن هداية الله (١٦٤)، كشف الظنون (١٠، ٢٠٩، ٢٨٨، و٢/ ١٦٣٧)، إيضاح المكنون (١/ ٣٠، ٨٠)، تهذيب ابن عساكر (١/ ٣٩٩ـ ٤٠٢).
وهناك مؤلفات اختصت بالخطيب ومصنفاته، من أهمها:
ـ موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، للدكتور أكرم ضياء العمري.
ـ الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها، للأستاذ يوسف العش.
ـ الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث، للدكتور محمود الطحان.



نماذج من صور المخطوط المعتمد في تحقيق الكتاب

هذه رسالة في علم النجوم هل الشروع فيه
محمود او مذموم تاليف الخطيب
البغدادي رحمه الله
ورضي عنه

هذا مما وقف وسمت الى
كتب حضرت الوالد
عليه الرحمة
بشرطه

١٩٠

صورة عنوان المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الامام رحلة زمانه وحافظ عصره واوانه الخطيب
البغدادي سايل سايلٌ عن النجوم هل الشروع فيه محمود او مذموم
وانا اذكر في ذلك من القول المستقيم ما تيسر بتوفيق مولاي
الكريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاقول ان علم النجوم
يشتمل على ضربين احدهما مباح وتعلمه فضيلة والاخر محظور
والنظر فيه مكروه فاما الضرب الاول فهو العلم باسماء الكواكب
ومناظرها ومطالعها ومساقطها وسيرها والاهتدا بها وانتقال
العرب عن مياهها لاوقاتها وتخيرهم الازمان لنتاج مواشيها
وضرابهم الفحول ومعرفتهم بالامطار على اختلافها واستدلالهم
على محمودها ومذمومها والتوصل الى جهة القبلة بالنجوم ومعرفة
مواقيت الصلاة وساعات الليل بظهورها وافولها وقد جاء
كثير من ذلك في كتاب الله عز وجل وفي الآثار عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن اخبار الصحابة والتابعين ومن بعدهم من
العلما الخالفين قال الله سبحانه هو الذي جعل الشمس ضيا
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق
الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون وقال تعالى والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال عز وجل
الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا
بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون وجاء
في الآثار من ذلك ما اخبرنا ابو الحسن محمد بن عمر بن عيسى بن يحيى
البلدي قال اخبرنا ابو العباس احمد بن ابرهيم بن احمد الامام
ببلد قال حدثنا علي بن حرب الطائي الموصلي قال ساحين

الجعفي

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

الجعفي عن زايدة عن ابان عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله
رعاة الشمس والقمر الذين يحببون عباد الله الى الله ويحببون
الله الى عباده واخرج عن عبد الله بن اوفى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيار عباد الله وقال الازهري ان خيار عباد
الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله عز
وجل واخرج عن ابي الدردا انه قال لين شيتم لاقسمن
ان احب عباد الله الى الله الذين يرعون الشمس والقمر ويراعون
النجوم والاظلة لذكر الله عز وجل وعنه ايضا لين شيتم لاقسمن
لكم ان احب عباد الله الى الله رعاة الشمس والقمر واخرج
عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما
تصلون به ارحامكم ومن النجوم ما تهتدون به في الظلمات
واخرج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم
ما تهتدون به في البر والبحر ثم انتهوا وتعلموا من الانساب ما
تصلون به ارحامكم وتعرفون ما يحل لكم مما يحرم عليكم من الانساب
ثم انتهوا واخرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة واخرج مجاهد انه قال
لا باس ان يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به في البر والبحر ويتعلم
منازل القمر واخرج عن ابن عباس في قوله تعالى والقمر قدرناه
منازل حتى عاد كالعرجون القديم فقال هي ثمانية وعشرون
منزلا ينزلها القمر في كل شهر اربعة عشر منها شامية واربعة
عشر منها يمانية فاولها الشرطين والبطين والثريا والدبران
والهقعة والهنعة والزراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة

مطلب المنازل ٢٨٠

مطلب الشرطان وغيرها

صورة الصفحة الثانية من المخطوط

واحد منهما بمنزلة مسمار شك في كرة وان حركة الكواكب
انما هي بحركة فلكه وقد قالوا فيهما غير ذلك ايضا وبعضهم
يزعم ان الافلاك على هيئة الاطواق وشبهوها بدايات
الخلق وبعضهم يزعم انها على هيئة الكرة ويزعم ان شكل الافلاك
كبيرها وصغيرها شكل الفلك الاعظم وبعضهم يزعم غير
ذلك وعلى نحو منه اختلافهم في الوان الكواكب السبعة
والوان البروج الاثني عشر ومقادير اجرامها واختلافهم
في شكل الارض وصورتها وجواهرها وليس على شي مما
اختلفوا فيه دليل سوى اقاويل اسلافهم وغير ما رسموه في
كتبهم من الدعاوى والانتحال للاصابة بغير بينة قاطعة
ولا حجة واجبة فهم في غمرة يعمهون وفي حيرة يترددونا
قال الشيخ لو لم يزهد الناس في النظر في علم النجوم
الا ما ترى من كثرة اكداء العاقل وانجاح الاحمق وخيبة
الساعي وظفر القاعد وما نشاهده دايما من اتفاقات
المنافع والمضار مما لم يرد ذها الخواطر ولم تشعر بها
النفوس فيتقدم في اجتلاب ما يسر ودفع ما يضر لامتنع وكفى
واوجب التسليم للقضاء والعلم بان الامور صادرة عن ارادة
الله تعالى ومشيته وانه المدبر لخلقه والحكيم في فعله لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون انا ابو القسم رضوان بن محمد
الدينوري قال انشدني ابو الحاتم محمد بن عبد الواحد
الشاهد بالري قال انشدني ابو الحسن علي بن عبد الله
الجرجاني الصوفي قال انشدني علي بن يعقوب بدمشق
قال انشدني عبد الله بن المعتز لنفسه

لو كانت

صورة الصفحة قبل الأخيرة من المخطوط

لو كانت الارزاق مقسومة بقدر ما يستوجب العبد
كان من يخدم مستخدما وثاب نحس وبدا سعد
واعتذر الدهر الى اهله وانتعش السودد والمجد
لكنها تجري على سمتها كما يريد الواحد الفرد
والى القاسم المحسن بن عمرو بن المعلى واظنه من اهل الشام
لست ادري ولا المنجم يدري ما يريد القضا بالانسان
غير اني اقول قول محق واري الغيب فيه مثل العيان
ان من كان محسنا قابلته بجميل عواقب الاحسان
واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وافضل الصلوة
واشرف التسليم على سيد الاولين والاخرين
محمد واله وصحبه اجمعين
وساير الانبيا والمرسلين
والملايكة وعباد
الله الصالحين
وسلم تسليما
كثيرا
الى
يوم
الدين

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

رسالة في علم النجوم

هل الشروع فيه محمود أم مذموم؟

تأليف

الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت
الخطيب البغدادي
المتوفى ٤٦٣ هـ

تحقيق واعتناء

طارق محمد العمودي



النص المحقق

قال الإمام رحلة زمانه، وحافظ عصره وأوانه، الخطيب البغدادي:

سأل سائل عن النجوم: هل الشروع فيه محمود أو مذموم؟ وأنا أذكر في ذلك من القول المستقيم ما تيسر بتوفيق مولاي الكريم ولا حول ولا قوّة إلاَّ بالله العلي العظيم.

فأقول:

إنَّ علم النجوم يشتمل على ضربين:

أحدهما: مباح، وتعلمه فضيلة.

والآخر: محظور، والنظر فيه مكروه.

فأما الضرب الأول: فهو العلم بأسماء الكواكب، ومناظرها، ومطالعها، ومساقطها، وسيرها، والاهتداء بها، وانتقال العُرب عن مياهها لأوقاتها، وتخيّرهم الأزمان لنتائج مواشيها وضرابهم الفحول، ومعرفتهم بالأمطار على اختلافها، واستدلالهم على محمودها ومذمومها، والتوصل إلى جهة القبلة بالنجوم، ومعرفة مواقيت الصلاة، وساعات الليل بظهورها وأُفولها.

وقد جاء كثير من ذلك في كتاب الله، عزَّ وجل، وفي الآثار عن رسول الله ﷺ، وعن خيار الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من العلماء الخالفين.

قال الله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ

لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس: الآية ٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس: الآية ٣٩]، وقال عز وجل: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: الآية ٩٧].

وجاء في الآثار من ذلك:

ما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن عمر بن عيسى بن يحيى البلدي، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد الإمام ببلد[1]، قال: حدثنا علي بن حرب الطائي الموصلي، قال: ثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن أبان، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«أحبُّ عباد الله إلى الله رعاء الشمس والقمر الذين يُحبِّبون عباد الله إلى الله، ويحبِّبون الله إلى عباده»**[2].

وأخرج عن عبد الله بن [أبي][3] أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيار عباد - وقال الأزهري - إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر**

---

(١) بَلَدُ: مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل، وينسب إليها جماعة. معجم البلدان (١/ ٥٧٠).

(٢) في إسناده أبان بن أبي عياش وهو متروك كما في التقريب.
وكذا في الإسناد انقطاع، فالحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة، انظر «تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل» لأبي زرعة العراقي (ص ٦٩- ٧٠).
والحديث لم أجده فيما بين يدي من مصادر من أخرجه غير المصنف هنا بلفظ الباب، وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣)، وعزاه للمصنف فقط. وله شواهد كما سيأتي عند المصنف.
غير أني وجدت حديثاً عن أبي هريرة فيه بعضاً من ألفاظ الباب بلفظ: «خيار أمتي من دعا إلى الله تعالى، وحبّب عباده إليه». أورده الألباني في ضعيف الجامع (٢٨٦٩) وعزاه لابن النجار. وليس فيه كما ترى الشاهد الذي من أجله ساقه المصنف.

(٣) سقط من الأصل.

والنجوم والأظلة لذكر الله عز وجل»[(١)].

وأخرج عن أبي الدرداء أنه قال: لئن شئتم لأقسمن إنَّ أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر، ويراعون النجوم والأظلة لذكر الله عز وجل[(٢)].

وعنه أيضاً: لئن شئتم لأقسمن لكم إنَّ أحب عباد الله إلى الله رعاة الشمس والقمر[(٣)].

وأخرج عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، ومن النجوم ما تهتدون به في الظلمات»**[(٤)].

وأخرج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلّموا من النجوم ما

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥١) وصححه ووافقه الذهبي. ولم يذكر الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة (٦/ ٥٢٢) تصحيح الحاكم.
زاد السيوطي في الدر (٣/ ٦٣) ـ سورة الأنعام ـ وعزاه لابن شاهين والطبراني، وهو في تخريج العراقي للإحياء (١/ ٣٣٥) وذكر تصحيح الحاكم، ثم رأيته عند ابن المبارك في الزهد (رقم ١٣٠٤) بلفظ الباب وقد أخرجه من طريقين. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٨٥٤).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (رقم ١٣٠٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١) بإسناد ضعيف، وليس فيه ذكر القَسم.

(٣) أورده بهذا اللفظ السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٣) وعزاه للمصنف وأحمد في الزهد، وليس فيه ذكر القَسم.

(٤) الشطر الأول المختص بتعلم الأنساب ورد بنفس لفظ الباب من حديث أبي هريرة مع زيادة، أورده الألباني في صحيح الجامع (٢٩٦٥) وعزاه لأحمد والترمذي والحاكم، وهو كذلك في السلسلة الصحيحة (٢٧٦).
وأما الشطر الثاني وهو الشاهد هنا فلا يصح مرفوعاً عن النبي ﷺ وللعلم فإن الحديث عن ابن عمر أورده السيوطي في الدر (٣/ ٦٤)، وكذلك في الجامع الصغير كما في ضعيف الجامع (٢٤٥٥) بلفظ: «تعلّموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا»، هكذا ورد من غير ذكر تعلّم الأنساب مع زيادة في آخره، وقد عزاه لابن مردويه والمصنف هنا، وضعفه الألباني.

تهتدون به في البر والبحر ثم انتهوا، وتعلّموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم وتعرفون ما يحل لكم مما يحرم عليكم من الأنساب ثم انتهوا»(١).

وأخرج عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**»(٢).

وأخرج(٣) [عن](٤) مجاهد أنه قال: لا بأس أن يتعلّم الرجل من النجوم ما يهتدي به في البر والبحر، ويتعلّم منازل القمر(٥).

---

(١) أخرج الشطر الأول وهو الشاهد في كتابنا هذا: ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٤١) من كتاب الأدب، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٧٩١) بإسناد رجاله ثقات غير الخوف من الانقطاع ما بين أبي نضرة المنذر بن مالك وعمر بن الخطاب، فإن أبا نضرة لم يذكر المزي في ترجمته من التهذيب عند ذكره لأسماء من روى عنهم: (عمر بن الخطاب)، أضف إلى أن العلائي قد ذكره في جامع التحصيل (ص ٢٨٧) وذكر أنَّ المزي قال عن روايته عن علي بن أبي طالب وأبي ذر وغيرهما من قدماء الصحابة مرسلة، إلاَّ أن أبي زرعة العراقي في تحفة التحصيل ذكر أنه لم ير ذلك في التهذيب وهو كما قال، ولكن الذهبي في الكاشف (٣/ ١٥٤) جزم بأن روايته عن علي مرسلة، فإن كان كذلك فمن باب أولى روايته عن عمر.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (٢/ ٢٧١، ١٧٣)، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة، من طرق قال عن أحدها: حسن صحيح.
وابن ماجه في السنن (١/ ٣٢٣)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القبلة، وغيرهما.
والحديث صحيح بتعدد طرقه.
وقد صححه أحمد شاكر كما في حاشيته على سنن الترمذي (٢/ ١٧٣)، والألباني كما في صحيح الجامع (٥٥٨٤) ووقع خطأ هناك بعزوه إلى صحيح مسلم.
وانظر إرواء الغليل رقم (٢٩٢) للتفصيل والوقوف على من أخرجه من غير أصحاب السنن.
وفي الباب عن غير أبي هريرة كابن عمر، وابن عباس وغيرهما.

(٣) جاء في الحاشية عنوان ترجمته: مطلب المنازل.

(٤) سقط من الأصل.

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٣ـ ٦٤) ـ سورة الأنعام ـ وعزاه للمصنف فقط، وجاء نحوه من قول إبراهيم النخعي بإسناد صحيح عند ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٤١)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٢٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٩٢).

وأخرج[١] عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩﴾ [يس: الآية ٣٩]، فقال: هي ثمانية وعشرون منزلاً ينزلها القمر في كل شهر، أربعة عشر منها شامية، وأربعة عشر منها يمانية، فأولها الشرطين[٢]، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعوّا، والسماك، وهو آخر الشامية، والغفر[٣]، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعايم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، ومقدم الدلو، ومؤخر الدلو، والحوت، وهو آخر الثمانية والعشرين، فإذا سار هذه الثمانية والعشرين[٤] منازلاً؛ عاد كالعرجون القديم كما كان في أول الشهر[٥].

وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: الآية ٦١]، قال: هي هذه الاثنا عشر برجاً، أولها الحمل، ثم الثور، ثم الجوزاء، ثم السرطان، ثم الأسد، ثم السنبلة، ثم الميزان، ثم العقرب، ثم القوس، ثم الجدي، ثم الدلو، ثم الحوت[٦].

وأخرج عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿بِٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾[٧] [التكوير: الآيتان ١٥، ١٦]، قال: النجوم تخنس بالنهار، وتظهر بالليل[٨].

---

(١) جاء في الحاشية عنوان: مطلب الشرطان وغيرها.

(٢) يلفظ هكذا بالشين: الشرطان، وكذلك بالسين المهملة: السرطان.

(٣) في الدر المنثور: و(العقرب).

(٤) في الأصل من غير ال التعريف.

(٥) لم أجده، ولذا عزاه السيوطي في الدر (٥/ ٤٩٥) للمصنف فقط.

(٦) ذكره السيوطي في الدر (٥/ ١٣٨)، وعزاه للمصنف فقط.

(٧) سقطت (الباء) في الأصل، وهي آيتي ١٥، ١٦ من سورة التكوير.

(٨) ورد بنحو هذا التفسير عن علي بن أبي طالب عند سعيد بن منصور بإسناد حسن كما قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٩٤). وأخرجه كذلك ابن جرير وكذا عن الحسن البصري، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٥٢).

وبهذا السند[١] قال: هي النجوم السبعة: زحل، وبهرام، وعطارد، والمشتري، والزهرة، والشمس، والقمر. قال: خنوسها: رجوعها، وكنوسها: تغيّبها[٢].

وأخرج[٣] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا طلع النجم ارتفعت العاهة عن أهل كل بلد»**[٤].

= وعن ابن عباس وغيره تفاسير أخرى. انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٠)، وفتح الباري (٨/ ٦٩٤)، والدر المنثور (٦/ ٥٢٨ـ ٥٢٩).

(١) جاء في الحاشية عنوان: مطلب النجوم السبعة.

(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الفتح (٨/ ٦٩٤)، والدر (٦/ ٥٢٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد موضوع من وضع الكلبي وقد اعترف بذلك. انظر: العجاب في بيان الأسباب، للحافظ ابن حجر (١/ ٢٠٩).
وجاء عن علي بن أبي طالب ذكر خمسة كواكب وزيادة في آخره، أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر (٦/ ٥٢٨) من طريق أصبغ بن نباتة عن علي، وأصبغ متروك رمي بالرفض كما في التقريب.

(٣) جاء في الحاشية: مطلب ارتفاع العاهة عن أهل كل بلد بالثريا.

(٤) كل طرق الحديث تلتقي عند أبي حنيفة عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة مرفوعاً.
أخرجه: أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٢١)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٨١)، وفي المعجم الأوسط، وأبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان (١/ ١٢١)، ومحمد ابن الحسن في كتاب الآثار (ص ١٩٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦/ ٥٣)، زاد الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٣٩٠) وعزاه للثقفي في فوائده.
وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤/ ٣٩٥).
والحديث بهذا السند ضعيف لضعف الإمام أبو حنيفة في الحديث وروايته؛ كما نص على ذلك الشيخان البخاري ومسلم وغيرهم كثير، انظر في ذلك كلام الألباني حفظه الله في السلسلة الضعيفة.
قد تابع أبو حنيفة عسل بن سفيان عن عطاء ولكنه ضعيف، وخالفه في لفظ الحديث مما زاده ضعفاً كما ذكر الألباني أيضاً.
وللحديث شاهد من رواية الصحابي أبو سعيد الخدري، أخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٩٦) ولكنه ضعيف بضعف أشد من سند حديث الباب فلا يصلح.
وقد فسّر الطبراني في معجمه الصغير، والحافظ في الفتح، بأن المراد بالنجم في الحديث: الثريا، وكذا فسّره بذلك الطحاوي في شرح مشكل الآثار. =

وأخرج عن ابن عمر قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة**»، قال: فقلت: يا أبا عبد الرحمٰن، ما ذهاب العاهة؟ قال: طلوع الثريا(١).

قال الشيخ: وقد أكثر العرب في أشعارهم أشياء من علم النجوم.

فقال كثير بن عبد الرحمٰن:

فدع عنك سُعدى إنما تسعف النوى ... قِرانَ الثريَّا مرّة ثم تأفُلُ(٢)

يريد: أنَّ الثريا يقارن الهلال ليلة مرة في السنة، ثم تغيب، وكذلك سُعدى إنما يلاقيها مرة في الحول.

= ملاحظة: في بعض المصادر تذكر لفظ: (إذا ارتفع) أو (إذا ارتفعت) بدلاً من (إذا طلع) وهناك من وافق لفظ الباب بتمامه.

(١) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٢، ٥٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦/ ٥٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٢٢)، من طرق عن ابن أبي ذئب عن عثمان بن عبد الله بن سراقة عن ابن عمر.
وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناد الحديث من رواية الإمام أحمد لدى تعليقه على المسند (٧/ ٩٠، ١١٨).
والحديث ذكره الحافظ في الفتح (٤/ ٣٩٥).
وفسّر الحافظ: الثريا، بأن طلوعها صباحاً يقع في أول فصل الصيف، وذلك عند اشتداد الحر في بلاد الحجاز، وابتداء نضج الثمار، فالمعتبر في الحقيقة النضج وطلوع النجم علامة له، وقد بيّنه في الحديث بقوله: «ويتبين الأصفر من الأحمر».
والحديث له شواهد عند البخاري في صحيحه كما في (٣/ ٣٥١) و (٤/ ٣٨٣، ٣٩٤، ٣٩٨)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٦٥) ولكن من دون ذكر الثريا.
وجاء عند البخاري في الصحيح (٤/ ٣٩٤) مع الفتح من حديث زيد بن ثابت، وفيه: «وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أن زيد بن ثابت لم يكن يبيع ثمار أرضه حتى تطلع الثريا، فيتبين الأصفر من الأحمر».

(٢) ديوان كثير (٢/ ٢٩)، وهو في الأنواء لابن قتيبة (ص ٢٩).

وقال آخر:

إذا ما قارن القمر الثريا
لخامسة فقد ذهب الشتاء[(١)]

والثريا تقارن القمر لخمس تخلو من الشهر مرتين: عند انصرام البرد وطيب الزمان، وعند انصرام الحر.

وقال آخر:

إذا ما قارن القمر الثريا
لخامسة فقد ذهب المصيف[(٢)]

وقال حاتم طي:

وعاذلةٍ هبّت بليل تلومني
وقد غاب عيّوق الثريا فعرّدا[(٣)]

أضاف العيوق إلى الثريا وليس هو منها لأنه يطلع إذا طلعت.

وقال ذو الرمة في الاهتداء بالنجوم:

فقلت اجعلي ضوء الفراقد كلها
يميناً ومهر النسر [من][(٤)] عن شمالك[(٥)]

وقال آخر:

---

(١) الأنواء (ص ٨٧)، وهو في لسان العرب (٤/ ٢٧٤) معزواً إلى أسيد بن الحلاحل، وروى لـ(ثالثة) بدل لـ(الخامسة).

(٢) مذكورة في الأنواء (ص ٨٧) من غير عزو.

(٣) ذكره ابن قتيبة في الأنواء (ص ٣٤) وله تعليق عليه، وعزاه محقق الكتاب إلى ديوان حاتم الطائي (ص ٢٣)، وكتاب المعاني الكبير (ص ٤٣٠).

(٤) زيادة من الأنواء لابن قتيبة.

(٥) مذكورة في الأنواء (ص ١٨٨) وقال ابن قتيبة: أخبرها أنه يريد مسيَرها ما بين منحدر النسر للمغيب وبين الفرقدين.

فسيروا بقلب العقرب اليوم إنه
سواء عليكم بالنحوس وبالسعد[١]

أي: سيروا عند سقوط قلب العقرب، والعرب يقولون: إنه نحس.

وقال آخر:

قد جاء سعد مُوعِداً بشرّه
مخبرةٌ جُنُوده بحرّه[٢]

يعني: سعد الأخبية، وجنوده: الحشرات، وهو يطلع في إقبال الدِّفا، فيبشّر الهوام ويخرج منها ما كان مختبياً، وقيل: سُمِّي: سعد الأخبية لذلك.

وللعرب أسجاع في طلوع النجوم تدل على علم كثير.

وأخرج بسنده عن أبي جعفر الراسبي قال: قالوا ـ يعني العرب ـ[٣]: إذا طلع «السرطان» ألقت الإبل أوبارها في الأعطان، واعتدل الزمان، واخضرت الأغصان، وتهادت الجيران.

وإذا طلع «البُطين» طلعت الأرض بكل زين، واقتضى الدَّين، وحَسُن النبات في كل عين.

وإذا طلع «النجم» خيف السقم، وترى عانات الوحش في كدم.

وإذا طلع «الدبران» بات الفقير بكل مكان، ورمت بأنفسها حيث شاءت

---

(١) مذكور في الأنواء (ص ٧١) مثل الأصل هنا من غير ذكر القائل وعزاه محقق الكتاب إلى الأسود بن يعفر، وكذا ذكره المرزوقي في الأزمنة والأمكنة (٢/ ٣٤٨) وعزاه لرجل جاهلي دون ذكر اسمه.

(٢) الأنواء (ص ٨٠) ولسان العرب (٤/ ١٩٧)، ويقصد (بشرّه) أي الحر، ولابن قتيبة كلام طويل فانظره.

(٣) لعدم التطويل في الحواشي عليك الرجوع إلى كتاب الأنواء لابن قتيبة من ص (١٧ـ ٧٦) فقد ذكر تلك الأسجاع مع الشرح الوافي، والتعريف بكل نجم وموقعه والعلامات الحادثة بظهوره علماً أنه يوجد بعض الاختلاف في الأسجاع المذكورة هنا عما هناك، بل وزاد ابن قتيبة أسجاعاً للعرب لنجوم لم يذكرها الراسبي هنا.

الصبيان، وكرهت النيران.

وإذا طلعت «الهقعة» صعد الناس إلى القلعة، ورجعوا إلى النجعة، وأرمست الفقعة.

وإذا طلعت «الهنعة» أحب الناس إلى الريف الرجعة.

وإذا طلعت «النشرة» ترطبت البسرة، وجثى الفحل بكرة، ولم يترك في ذات درّ قطرة، وأوت المواشي إلى الحجرة.

وإذا طلعت «العوّا» طاب الحنا، واتكست الظبا، وأشرف على عوده الحربا.

وإذا طلع «سهيل» فلام الفصيل الويل.

وإذا طلع «السماك» فأوجد حذاك، وأصلح خباك، وصوّب فناك ـ يعني للمطر ـ.

وإذا طلع «الغفر» أتاك من البرد صدر، وقام الشعر، وطاب أكل التمر.

وإذا طلع «الزبانا» فأعدَّ لكل ذي ماشية هوانا، ولكل ذي عيال شانا، وقالوا: كان وكانا، فاحتل لأهلك ولا توانا، واحذر أن تُرى عريانا.

وإذا طلع «الإكليل» هبت على الأبنُق الفحول، وشمّرت الذيول، وخيفت السيول.

وإذا طلع «القلب» هرّ العشار مثل الكلب، وصار أهل البادية في غمّ وكرب.

وإذا طلعت «الشولة» أتاك الشتاء بصولة، وكانت للضعفاء جولة، واشتد على العيال العولة، وأعجلت الشيخ البولة.

وإذا طلعت «البلدة» فشت الرعدة، وأصاب الناس من البرد شدة، وأحبّوا عند النار القعدة.

وقال بعض العرب في هذا الوقت: وأوقدت الشعرى مع الليل نارها، وأضحت فحول جلدها يتوسف، وأصبح مبيض السقيع كأنه على سروات

البيت قطن مندف.

قال الشيخ رحمه الله: ولهم من الأسجاع في هذا الضرب أكثر من هذا، ولهم أيضاً أسجاع في تقدير مكث الهلال والقمر من أول ليلة من الشهر إلى عشر منه.

وأخرج[١] عن أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج قال: وللعرب في تقدير الهلال والقمر من أول ليلة إلى عشر شيء يسجعون فيه، ويبيّنون مقدار مكث القمر على عادتهم في التمثيل، فيقولون: (الهلال ابن ليلة رضاع سخيلة، حلّ أهلها برميلة) أي قدر مكثه ذلك القدر، وبعضهم يقول: (عتمة سخيلة) أي إبطاء سخيلة في الرضاع، وإنما قالوا: (حلّ أهلها برميلة) لأن لبن أمها يقل فيقل رضاعها.

(وابن ليلتين حديث أمتين كذب ومَين) أي مكثه قليل وحديثهما كذب فهو غير متصل.

(وابن ثلاث قليل اللباث)، وقيل: (حديث قينات غير جل مؤتلعات)[٢].

(وابن أربع عتمة ربع لا جائع ولا مرضع)[٣].

الربع: ما نتج في الربيع وهو أقوى مما ينتج في الصيف.

(وابن خمس عشاء خَلَفَات قعس)[٤]، والخلفات جمع خلفة وهنَّ الحوامل، وجمعهنَّ المخاض، وإنما جعلهن قعساً جمع قعساء لأنها إذا حملت شَمَخَتَ بآنافها، ورفعت رؤُوسها، وخرجت صدورها، وتشذّرت، فيقل: أكلها.

---

(١) انظر الأزمنة والأمكنة للأصبهاني (٢/ ٦٠ـ ٦١)، والأنواء (ص ١٣١ـ ١٣٥).

(٢) في الأزمنة والأمكنة: (حديث فتيات غير جد مؤتلفات)، وكذا في الأنواء.

(٣) ويروى: (ولابن أربع عتمة ربع غير حبلى ولا مرضع)، زاده الأصبهاني في الأزمنة والأمكنة.

(٤) أشار ابن قتيبة في الأنواء إلى أنها رواية لابن زيد وعند غيره (حديث أُنس).

(وابن ست سِرْ وبت)، وقيل: (تحدث وبت)، لأن القمر يمكث نحو ثلاثة أسباع من الليل.

وقالوا: (ابن سبع حديث وجمع)، وقيل: (ابن سبع دلجة الضبع) لأن ابن السبع يغيب نصف الليل، وفي ذلك الوقت يتحرك الضبع لأنها تدلج. وإنما قيل: (حديث وجمع) لأنه يمكن فيه حديث الجماعة.

(وابن ثمان قمر أضحيان)، وأضحيان أي: بيّنْ.

(وابن تسع يلتقط فيه الجزع)[١]، وقالوا: (انقطع الشسع)، وإنما قيل: (انقطع الشسع) لطول المكث فيه قبل أن يغيب.

(وابن عشر مخنق الفجر)، وقالوا: (يوديك إلى الفجر)[٢].

وتركت العرب أن تمثّل ما بعد هذا لقربه من الفجر، لأنهم قد وصفوا الليالي بجملتها إلى آخر الشهر[٣].

وأخرج عن أبي يحيى محمد بن كناسة الأسدي[٤] صاحب النجوم قال: كانت العرب تسمّي الشهر عشر أسماء، لكل ثلاثة منها اسم، فتسمّي أولها الغرر، ثم النفل، ثم الدرع، ثم العشر، ثم البيض، ثم الظلم، ثم الحندس، ثم الداادي[٥]، ثم المحاق، ثم الفلتة.

فأما «الغرر» فإنَّ غرّة كل شيء في أوله، فإنها كانت تصوم الغرر شبه الفرض عليها لا تتركه.

---

(١) في الأزمنة والأمكنة: (ملتقط ماء الجوع، وقيل: مثقب الجزع).

(٢) زاد في الأزمنة والأمكنة: (ثلث الشهر)، وفي الأنواء (يؤدّيك).

(٣) إلا أن في الأزمنة والأمكنة استرسل في ذكر الأسجاع إلى آخر ليالي الشهر، وهي لا تشعر بأنها من قول العرب، أقصد منصوصة عنهم.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي، الإمام العلامة، الثقة البارع، الأديب، له معرفة بالعربية والشعر وأيام الناس، وله كتاب في الأنواء، توفي عام ٢٠٧هـ.
انظر تاريخ بغداد (٥/ ٤٠٤)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٨)، تهذيب الكمال (٢٥/ ٤٩٢).

(٥) هكذا رسمها في الأصل، وفي الأنواء (ص ١٣٥): (دآدي).

وأما «النفل» فكانت تصوم شبه النافلة، إن شاءت تصوم وإن شاءت تتركه.

وأما «الدرع» فتقول: (قد تدرعت الأرض القمر) أي صار القمر على الأرض كثيراً.

وأما «العشر» فيقول: عشر، وأحد عشر، واثنى عشر.

وأما «البيض» فتعني اتصال القمر مع الشمس.

وأما «الظلم» فحين يذهب القمر في أول الليل.

وأما «الحندس» فتعني بها أشد ظلمة من الظُّلم.

وأما «الداادي» فحين ينقص الهلال، يقول: قد وقع الداء فيه.

وأما «المحاق» فقد ذُكر في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال، وقد رأى رجلاً يحتجم في المحاق: **«أما إنه لن ينفعه»**[١].

وأما «الفلتة» فإن الشهر ليس يتم أبداً ثلاثين، فإذا تمَّ في الحين سمّته العرب «فلتة».

قال الشيخ: والعرب تبدو[٢] فيما بين طلوع سهيل إلى سقوط الغفر، فأول طلوع سهيل في آذار، وآخره عند سقوط الفرغ المؤخر، وهو أول الوسمي، ويحضرون المياه عند طلوع الثريا إلى طلوع الشعري.

وأول نتاج الشاء عندهم مع طلوع الهرارين، وهما النسر الواقع وقلب العقرب، ويكون طلوعهما معاً، وهو نتاج غير محمود لشدة البرد وقلّة الكلأ.

وكانوا يقولون: ما نتج بعد سقوط الغفر فهو ضعيف لشدة الحر وهيج الأرض، ثم يدركه الشتاء، وهو ضعيف، فلا يقوى.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) قال ابن قتيبة في الأنواء (ص ٩٦): معنى «التبدّي» أن يخرجوا إلى البوادي يبتغون الكلأ ومساقط الغيث، فلا يزالون كذلك إلى هيج النبات، وانقطاع الرطب، وجفون الغدران، ثم يرجعون إلى محاضرهم ومياههم التي كانوا عليها.

وقالوا: لا يطلع السماك إلا غارزاً ذنبه في برد، ونوى الزبرة لا يخلو من مطرٍ أو قرّ.

وقالوا: ما ناء الدبران والبطين فكان في نؤهما مطراً إلاّ أجذب ذلك العام، ولا اجتمع مطر الثريا في الوسمي، ومطر الجهة في الربيع، إلا كان ذلك العام كثير الحياة، تام الخصب[١].

فالعرب تعرف أوقات المطر، والرياح، والحر، والبرد بمطالع النجوم ولهم في ذلك فضيلة بيّنة، وإذا رأوا السحاب عرفوا هل هي ذات مطر أم لا، وهل مطرها كثير أو غير كثير، وهل هي مما قد أهراق ماؤه أو ماؤه فيها.

وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك، قال عوف بن الحارث: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أنشأت السماء بحرية ثم تشاءمت، فتلك عين، أو قال: عام غديقة**»[٢]. يعني مطراً كثيراً.

وأخرج الشيخ رحمه الله بسنده بطريقين، عن موسى بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن جده، قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً مع أصحابه، إذ نشأت سحابة، فقال: «**كيف ترون قواعدها؟**» قالوا: ما أحسنها وأشدَّ تمكنها. قال: «**كيف ترون رحاها؟**» قالوا: ما أحسنها وأشدَّ استدارتها، فقال: «**كيف ترون بواسقها؟**» قالوا: ما أحسنها وأشد استقامتها، فقال: «**كيف ترون جونه؟**»[٣] قالوا: ما أحسنه وأشدَّ سواده، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر الأنواء (ص ٩٤) حيث قسّم وقت النتاج إلى ثلاثة أقسام: مذمومان وواحد محمود.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في المطر والرعد والبرق والريح (رقم ٤٢ـ بتحقيقي)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٧٠) وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٤٧)، كلهم من طريق محمد بن عمر الواقدي عن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة عن عِوف بن الحارث به مثله.
وهذا إسناد ضعيف جداً لأجل الواقدي، ثم رأيته في الموطأ يرويه مالك بلاغاً في كتاب الصلاة باب الاستمطار بالنجوم.

(٣) بالضم جمع وبالفتح مفرد، وهو من الألوان، ويقع على الأسود والأبيض.
انظر الهداية في غريب الحديث، لابن الأثير (١/ ٣١٨).

«**الحياة**»، فقالوا: يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك، قال: «**وما يمنعني، وإنما أُنزل القرآن بلساني**: ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: الآية ١٠٣]»[١].

قال أبو بكر بن دريد[٢]: تفسير الكلام:

قواعدها: أسافلها.

ورحاها: وسطها ومعظمها.

وبواسقها: أعاليها.

وإذا استطار البرق من أعاليها إلى أسافلها، فهو الذي لا يُشَكُّ في مطره.

والحقوا: ضعيف ما يكون من البرق.

والوميض: نحو التبسّم الخفي، يقال: ومض وأومض.

وأخرج عن أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، قال: ثنا محمد بن

---

(١) الحديث أخرجه الأئمة من طريق موسى بن محمد التيمي وقد اختلف فيه:
- فمرة يرويه من طريق أبيه عن جده، كما ذكره الخطيب هنا، ووجدت هذا الطريق مسنداً عند أبي الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٤٢) والعسكري، ذكره عنه الهندي في كنز العمال، وابن دريد في وصف المطر والسحاب (رقم ٤)، وعنه مسنداً أبو علي القالي في الأمالي (١/ ٨)، وثعلب في مجالسه، برواية ابن الأعرابي (٢/ ٥٢٢) وعنه المرزوقي في الأزمنة والأمكنة (٢/ ٩٩) كلهم من طرق عن موسى بن محمد التيمي عن أبيه عن جده، وفيه موسى هذا وهو منكر الحديث، ليس بشيء كما في الكامل (٦/ ٣٣)، والتقريب (٧٠٥٥) فالإسناد ضعيف جداً.
- ومرة يرويه من طريق أبيه فقط، فزادت علة أخرى وهي الإرسال، وأخرجه من هذا الطريق: ابن أبي الدنيا في المطر والرعد والبرق والريح (رقم ١٢ـ بتحقيقي)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٧)، والرامهرمزي في الأمثال (ص ٢٤٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٤٠).

(٢) كلام ابن دريد نقله الخطيب من كتابه وصف المطر والسحاب، وانظر لبسط شرح معاني الحديث: الأمالي، لأبي علي القالي (١/ ٨ـ ٩).

يزيد النحوي وغيره، قال: خرج إعرابي ضرير في بغاء إبل ضلّت، ومعه بنت له تقوده، فمرّا بواد معشب، فقالت: يا أبت ما رأيت مرتع إبل كهذا، فقال: إنْ ردَّ الله علينا إبلنا سرحنا فيه. فلم يلبثا أن وجداها، فأرسلا فيه، فجعلت تخضم أطوله وأقطره، فبينا هما كذلك قالت ابنته: يا أبة إني أخاف المطر، قال: وما الذي ترين؟ قالت: أرى سحاباً دواني وسحاباً بواني. فقال: ارعي لا بأس عليك. فَرَعت ساعة، ثم قالت: يا أبة إني أخاف المطر، قال: وما الذي ترين؟ قالت: أراها كبطون الأتن القُمر في المرابض الغبر، قال: ارعي لا بأس عليك. فَرَعت ساعة، ثم قالت: يا أبة إني أخاف المطر، قال: وما الذي ترين؟ قالت: أرى سحاباً دون سحاب كأنه نعام يعلق بأرجله، قال: ارعي لا بأس عليك، فَرَعت ساعة، ثم قالت: يا أبة إني أخاف المطر، قال: وما الذي ترين؟ قالت: سحاباً أكاد أرفعه بيدي، قال: ارعي لا بأس عليك. فَرَعت ساعة، ثم قالت: إني والله أخاف المطر، قال: ما الذي ترين؟ قالت: أراها قد اسلنطحت وانتصبت، قال: ويحك فانجي بنا ولا أظنك ناجية. فلم يبلغا آخر الوادي حتى سال أوله[١].

قال الزجاج: معنى اسلنطحت: انبسطت.

فهذا[٢] الذي ذكرنا كله من علم النجوم هو العلم الصادق النافع، وبه يكون الاهتداء في ظلمات البر والبحر، والنجاة من حيرة الضلال، فكم من قوم أشفى بهم ذلك على الهلاك، فأنجاهم الله تعالى بالاستدلال بنجم أمّوه ووجه قصدوه، وبه يُعرف وقت النتاج، ووقت تأبير[٣] النخل، ووقت بيع الثمرة، وإقبال الخير وإدباره، وإمارات الخصب والجدب، وعلامات

---

(١) جاءت قصة بنحو قصة الباب على أنَّ الأعرابي هو الذي كان يستفسر من ابنته ويرشدها، ولا شك إنها قصة أخرى بألفاظ أخرى مع اتحاد في كثير في المعاني، أخرجها ابن أبي الدنيا في كتاب المطر (رقم ١٥). ثم وجدت القصة عند الأصبهاني في الأزمنة والأمكنة (٢/ ٩٢) وسياقها قريب من سياق ابن أبي الدنيا.

(٢) الكلام للحافظ الخطيب البغدادي.

(٣) أي إصلاحه، انظر مادة (أ ب ر) من كتاب القاموس المحيط (ص ٤٣٥).

السحاب الماطرة، والسحاب المخلفة، والبروق الصادقة والكاذبة، وبه ينتقلون عن المحاضرة إلى المياه، وعن المياه إلى المحاضر، وليس ينصرف إليه شيء من الأحاديث التي أنا ذاكرها.

فأخرج عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أخاف على أمّتي خصلتين: تكذيباً بالقدر، وتصديقاً بالنجوم»**(١).

وأخرج بطريق أخرى، عن أنس، عن رسول الله ﷺ [قال](٢): **«أخاف على أمتي بعدي تكذيباً بالقدر، وصدقاً بالنجوم»**(٣).

---

(١) حديث أنس أخرجه: أبو يعلى في المسند (٧/ ١٦٢)، وذكره عنه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ـ الطبعة المسندة (٣/ ٢٧٥)، وابن عدي في الكامل (٤/ ٣٤)، زاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٥) من سورة الأنعام وعزاه لابن مردويه.
كلهم من طريق الحكم بن موسى عن شهاب بن خراش عن يزيد الرقاشي عن أنس، وإسناده ضعيف لضعف يزيد الرقاشي.
ولا يعرف هذا الحديث من رواية أنس إلا من طريق شهاب بن خراش عن يزيد به، ولذا ما سوف يذكره الذي اختصر كتاب المصنف، سامحه الله، من وجود طرق أخرى هو في الحقيقة متابعات أخرى للحكم بن موسى وإلا فكلها تلتقي عند شهاب عن يزيد الرقاشي.
إلاّ أنّ للحديث شواهد من حديث أبي الدرداء وأبي محجن وأبي أمامة ترفعه إلى درجة الاحتجاج وهي درجة الحسن لغيره، انظر لتلك الشواهد في السلسلة الصحيحة (رقم ١١٢٧)، والحديث ذكره كذلك الألباني في صحيح الجامع (٢١٥) وذكر أنه صحيح مع أنه في السلسلة الصحيحة ذكر حديث أنس وضعّف إسناده، وذكره ضمن الشواهد الصالحة للاحتجاج بحديث طلحة بن مصرف رفعه: (إنّ أخوف ما أتخوفه على أمتي آخر الزمان ثلاثاً: إيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر، وحيف السلطان).
وإنني مع الشيخ في أن ألفاظ الأحاديث التي ذكرها مع شواهد رواتها ترفعها إلى درجة الاحتجاج، وأختلف معه في درجتها، فهو، حفظه الله، يرفعها إلى درجة الصحة لشواهدها، وفي نقدي هي في درجة الحسن بشواهده، لأن كل شاهد لا يخلو من ضعف يجبر بالآخر فيكون حسناً لغيره وشواهده، وأما الصحيح لغيره فيكون بتعدد الحسن كما هو معروف في علم المصطلح.

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) تقدم تخريجه.

وبطريق آخر إلى هشام بن عمار، قال: ثنا شهاب بن خراش الحوشبي، لقيته وأنا شاب في سنة أربع وسبعين، وقال لي: إن لم تكن قدرياً ولا مرجئياً حدثتك، وإلاّ لم أحدثك، فقلت: ما فيَّ من هذا شيء، فقال: حدثنا يزيد الرقاشي، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أخاف على أمّتي خصلتين: تكذيباً بالقدر وتصديقاً بالنجوم**»(١). وقال: أخذ يزيد بعرض شيبته وقال: آمنَّا بالقدر خيره وشرّه.

وأخرج عن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من فعال الجاهلية لا يدعهنَّ أهل الإسلام: استناءة(٢) بالكواكب، وطعن في النسب، والنياحة على الميت**»(٣).

وأخرج [عن](٤) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في أمتي أربعاً من أمر الجاهلية ليسوا بتاركهنَّ: الفخر في الأنساب، والطعن في الأحساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت**»(٥).

---

(١) حديث أنس من رواية هشام لم أجده، وعموماً لا يضر فالحديث لم يخرج عن رواية شهاب عن يزيد كما سبق ذكره لدى تخريج الحديث.

(٢) هكذا في الأصل، وفي المصادر: استسقاء.

(٣) ذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٠٤٠)، وعزاه للبخاري في تاريخه، والطبراني في المعجم الكبير، وله شاهد من حديث أبي هريرة في المسند للإمام أحمد وغيره.

(٤) سقطت في الأصل.

(٥) لم أجد الحديث من مسند ابن عباس، وهو معروف من حديث أبي مالك الأشجعي، أخرجه مسلم، وأحمد، والحاكم، والطبراني في الكبير، والبيهقي، انظر صحيح الجامع (٨٧٥) وأشار الألباني إلى ورود الحديث في السلسلة الصحيحة (٧٣٤) ولدى مراجعة السلسلة لم نجد إشارة منه إلى أن الحديث من رواية ابن عباس، ولو كان الذي اختصر أسانيد كتابنا هنا ذكر على الأقل التابعي الذي يروي عن ابن عباس لوفر عليّ كثيراً بحيث كنت سأبحث عن الحديث في كتب الأطراف بدلالة التابعي الذي يروي عن ابن عباس، وذلك لضخامة مسند ابن عباس فالأمر يحتاج إلى وقت، والله المستعان، غير أنه لا يستبعد وقوع الناسخ هنا في خطأ وعزوه للحديث لابن عباس، ولست على يقين حتى نقلّب مسند ابن عباس جميعه من خلال كتب الأطراف. وعموماً لفظ الحديث قد صح كما مر بك قريباً.

لأن[١] تفسير هذه الأحاديث قد جاء في حديث آخر.

وأخرج عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي حتى خرجنا من المدينة، فلما خرجنا نظر إليها وقال: **«هذه جزيرة قد برئت من الشرك ما لم تضلهم النجوم»**. قال: قلت: يا رسول الله وكيف تضلهم النجوم؟ قال: **«يقولون إذا أصابهم الغيث: مطرنا بنجم كذا وكذا»**[٢].

---

(١) الكلام للمصنف رحمه الله.

(٢) الحديث ضعيف، لوجود قيس بن الربيع، فقد ضعفه جمع كبير من العلماء وذلك بسبب اختلاطه لمّا كبر فساء حفظه ولم يتميز حديثه.
انظر تحرير تقريب التهذيب (٣/ ١٨٦- ١٨٧).
أضف إلى الاختلاف في سنده على ثلاثة أوجه، هي:
أ - من طريق الحسن البصري عن العباس بن عبد المطلب؛ أخرجه ابن خزيمة في التوكل من صحيحه، كما في إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، للحافظ ابن حجر (٦/ ٤٧٧) ولفظه هناك: «قد طهّر الله هذه الجزيرة من الشرك إن لم تضلهم النجوم». وساق ابن خزيمة الحديث بإسناد منقطع ثم أوصله بإسناده، وقال: «الحسن لم يسمع من العباس»، فهذه علة أخرى إضافة إلى ما سبق من وجود قيس.
وذكر هنا الحافظ فائدة، فقال: «هذا اصطلاح ابن خزيمة في الأحاديث الضعيفة والمعللة يقطع أسانيدها ويعلّقها ثم يوصلها، وقد بيّنت ذلك غير مرة».
ثم اعلم أن البزار نص على عدم سماع الحسن من العباس بن عبد المطلب كما في نصب الراية (١/ ٩١)، ثم رأيته أخرجه من هذا الوجه أيضاً ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٩٣)، طبعة الزهيري.
ب - من طريق الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب، ولعل هذا الطريق هو المحفوظ، لأن الحسن لا يروي عن العباس لعدم سماعه منه، ولتنصيص العلماء على أنّ بينهما الأحنف بن قيس.
قال أبو زرعة العراقي في تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (ص ٧٥): «وروى بعضهم عن الحسن عن العباس بن عبد المطلب، قال ابن أبي خيثمة: وإنما يحدث عن الأحنف عنه». وذكر البزار في سماع الحسن من الصحابة في مسنده في آخر ترجمة سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، نقلها عنه الزيلعي في نصب الراية (١/ ٩١): «وروى عن العباس بن عبد المطلب ولم يسمع منه، وبينهما الأحنف بن قيس» أخرج الحديث من هذا الوجه: البزار في المسند (٤/ ١٣١) وذكر إنه لا يعرف بهذا اللفظ إلا من =

وأخرج عن زيد بن خالد الجهني قال: مُطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «**ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلاَّ أصبح فريق منهم بها كافرين، فأما من آمن وحمدني على سقياي، فقد آمن بي وكفر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فقد آمن بالكوكب، وكفر بي وكفر نعمتي**»[1].

وأخرج عن أبي إسحاق الزجاج أنه قال: إنما جاء التغليظ في هذا والله أعلم أن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر الذي جاء عند سقوط النجم هو فعل النجم، ولا يجعلونه سقياً من الله تعالى، وإن كان وافق سقوط النجم. وأما من نسب ذلك إلى الله تعالى وجعله وقتاً كمواقيت الليل والنهار كان ذلك حسناً، والدليل على حسن ذلك وجوازه: أن عمر بن الخطاب حين استسقى بالناس بالمصلى نادى العباس: كم بقي من نوء الثريا، فقال العباس: إن العلماء بها يزعمون إنها تعترض في الأفق سبعاً بعد وقوعها، فوالله ما مضت

= العباس، ولا يُعرف إلاَّ بهذا الوجه. وأبو يعلى في المسند (٦/ ١٤٨)، وأبو بكر المقرىء في الغيلانيات (١/ ٢٩٩ـ ٣٠٠)، والخطيب البغدادي ـ مصنف كتابنا هذا ـ في تلخيص المتشابه (١/ ٢٤٢)، زاد السيوطي في الجامع الكبير (٢/ ٤٢٩) وعزاه لابن جرير في تهذيب الآثار، وزاد الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٤) وعزاه للطبراني في الأوسط ولم أجده في المطبوع، وقال الهيثمي عن رجال أبي يعلى أنهم رجال الصحيح، وفي كلامه نظر لوجود قيس كما مر. ولفظ الباب بتمامه عند المصنف في كتابه الآخر تلخيص المتشابه.

جـ ـ من طريق الحسن عن قيس بن عباد عن العباس بن عبد المطلب. أخرجه المصنف في تلخيص المتشابه (١/ ٢٤١ـ ٢٤٢)، وأبو بكر المقرىء في الغيلانيات (١/ ٣٠٠ـ ٣٠١)، ونص الخطيب بما يشعر أن المحفوظ رواية الحسن عن الأحنف عن العباس، فانظره هناك.

والحديث ذكره الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٤٧٠٨).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح من كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (٧/ ٤٣٩ مع الفتح)، وكذا في كتاب الاستسقاء.

ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، وغيرهما.

تلك السبع حتى غيث الناس[١].

قد[٢] مضى الكلام في الضرب الأول من علم النجوم، وهو المباح.

وأما الضرب الثاني، وهو المحظور فهو: ما يدّعيه المنجمون من الأحكام. وليس أشد إتعاباً للفكر، وإنصاباً للبدن، وإضلالاً للفهم منه. فإذا أنفد الناظر فيه عمره بإسهار الليل، وشغل القلب عن المطعم والمشرب، واللذات والعمل للدنيا والآخرة، وتباعد من الله ورسوله، ومن عباده الصالحين، ورماه الناس عن قوس واحدة بالكفر والزندقة، كان عرفه الذي انتهى إليه وزبدته التي مخض عنها: علم كسوف الشمس والقمر؛ متى يكون؟ وفي أي وقت يحدث من الليل والنهار؟ ومقدار ما يكسف من كل واحد منهما، ووقت الانجلاء، وهذا علم لا ينفع الله به بوجه من الوجوه، ولا يستدل به على أمر من الأمور، وإنما الكسوف شيء قدّره الله سبحانه بمسير الشمس والقمر، فيكون باجتماعهما أو تقابلهما، وليس على من لم يعلم وقت الكسوف حين يكون من عيب ولا نقص، وإنما يكون العيب في الجهل بما تعلمه العرب من أمر النجوم الذي تقدم ذكرنا له، فإن استزله الشيطان، وأطمعه في القضاء والأحكام، واعتقد في الكسوف إنه لموت أحد أو حياته، أو حلول حادثة ووقوع جائحة: فَقَدَ عقله الشيطان بالغرور، وقطع أسبابه من الدين، لأن الله تعالى استأثر بالغيب دون أنبيائه وملائكته، إلاّ ما أطلعهم عليه.

وأخرج عن عبد الله بن مسعود قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: إنما انكسفت لموت إبراهيم، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فصلّى بالناس، ثم قال: «**أيها الناس إن الشمس والقمر لا**

(١) لم أقف عليه، وقد ذكر طرفه الأول ابن قتيبة في الأنواء (ص ١٤) استدلالاً به على الضرب المباح من علم النجوم.
(٢) الكلام للمصنف رحمه الله.

ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة»(١).

وأخرج عن [ثعلبة بن](٢) عباد العبدي ـ من أهل البصرة ـ قال: شهدت خطبة لسمرة بن جندب، فذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أما بعد، فإنَّ ناساً يزعمون أن كسوف الشمس وكسوف هذا القمر، وزوال هذه النجوم عن مواضعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض، وإنهم قد كذبوا، ولكنها هي آيات الله يعتبر بها عباده لينظر من يحدث له منهم توبة»**(٣).

قال الشيخ: إن سأل سائل عن حديث عائشة قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر، فقال: «**استعيذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب»**(٤). وفي رواية عنها: أخذ بيدي ثم نظر إلى القمر، فقال: «**يا عائشة تعوّذي بالله من هذا فإنه الغاسق إذا وقب»**(٥).

---

(١) حديث صحيح.
وقد جاء هذا الحديث بلفظ الباب أو نحوه من رواية أبو بكرة، والمغيرة، وابن عباس، وابن عمر، وأبو موسى، وأبو مسعود، وكلها في صحيح البخاري، زاد الحافظ في الفتح (٢/ ٥٤٥) فقال: «وفي الباب مما لم يذكره ـ أي البخاري: عن جابر عند مسلم، وعن عبد الله بن عمر والنعمان بن بشير، وقبيصة وأبي هريرة كلها عند النسائي وغيره، وعن ابن مسعود وسمرة بن جندب ومحمود بن لبيد كلها عند أحمد وغيره، وعن عقبة بن عامر وبلال عند الطبراني وغيره، فهذه عدة طرق غالبها على شرط الصحة، وهي تفيد القطع عند من اطلع عليها من أهل الحديث بأن النبي ﷺ قاله، فيجب تكذيب من زعم أن الكسوف علامة على موت أحد أو حياة أحد» اهـ.
ولم يذكر عائشة وروايتها عند مالك وأحمد والشيخان.

(٢) سقط من الأصل، وكذا حُرفت (العبدي) إلى (العبدري)، والصواب ما أثبتناه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٦)، بقصة طويلة جداً، والإسناد ضعيف لجهالة ثعلبة بن عباد العبدي على الصحيح، لا كما قال الحافظ في التقريب إنه (مقبول)، وعموماً الشاهد الذي ذكره المصنف هما قد صح من روايات أخرى، وانظر ما قاله الحافظ في حاشية حديث ابن مسعود السابق.

(٤) و(٥) الحديث في أقل أحواله حسناً، إن لم يكن صحيح لغيره.
أخرجه الترمذي في السنن، كتاب التفسير، باب ومن سورة المعوذتين (٥/ ٤٢٢)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا رفع رأسه إلى =

وإنما سمّي القمر غاسقاً لأنه يكسف، فيغسق، أي يسود ويظلم.

والغسق: الظلمة.

ووقوبه: دخوله، إما في حال الكسوف وإما في شيء يستره ويكسف نوره، فكأنه قال: تعوّذي بالله من شرّه في تلك الحال. لأن أهل الفساد

= السماء (٦/ ٨٣، ٨٤)، ولم أجده في كتاب التفسير كما قال ابن كثير، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢٣٧)، والطيالسي في المسند (ص ٢٠٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٠٤)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٣١٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٠ـ ٥٤١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ٢٤٢)، وابن جرير في تفسيره (٣٠/ ٣٥٢)، زاد السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٧١٨) وعزاه لابن المنذر وابن مردويه في تفسيرهما، كلهم من طرق عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمٰن العامري والمنذر بن أبي المنذر كلاهما عن أبي سلمة عن عائشة، بألفاظ مختلفة متقاربة المعنى المقصود.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

وقال ابن حجر في الفتح: إسناد حسن (٨/ ٧٤١).

والحديث في إسناده الحارث بن عبد الرحمٰن، خال ابن أبي ذئب: (صدوق) كما قال الحافظ في التقريب.

ولذا قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٢) عن الحديث: «ورجاله ثقات رجال الشيخين غير الحارث بن عبد الرحمٰن هذا... وهو صدوق كما في التقريب...». ثم ذكر متابعة المنذر بن أبي المنذر وهو مقبول كما في التقريب، وصحح به الحديث، فكأن الشيخ حفظه الله يرى أن حديث «المقبول» حسن لذاته، سواء توبع أم لم يتابع، وبه مع رواية الحارث بن عبد الرحمٰن التي هي في درجة الحسن لذاته صحح الحديث لطرقه.

وهناك دراسة ترى بأن حديث «المقبول» عند الحافظ في درجة الحسن لذاته، انظر منهج دراسة الأسانيد والحكم عليها، للدكتور وليد حسن العاني (ص ٥٢ـ ٧٩).

والحافظ في الفتح قال: إسناد حسن، ولم يقل: حديث حسن، فكأنه وقف على إحدى الوجهين، بل جزماً، لأنه صدّر عزو الحديث للترمذي والحاكم، وكلاهما يرويان الحديث من طريق الحارث بن عبد الرحمٰن به فقط، ولم يذكرا الوجه الآخر من رواية المنذر، ولذا اقتصر الحافظ على ما أمامه من السند فقال: إسناد حسن. ولو وقف على الوجه الآخر لما بُعد أن يحكم عليه بما حكم به الألباني، والله أعلم.

ينتشرون في الظلمة ويتمكنون فيها مما لا يقدرون عليه في حال الضياء، فيقدمون على العظائم ويجترؤون على انتهاك المحارم، فأضاف النبي ﷺ فعل أهل الفساد في تلك الحال إلى القمر، لأن سبب ذلك الفعل كسوفه كما يسمّى الشيء باسم غيره إذا كان سبباً له والله أعلم.

ولو كان النظر في أحكام النجوم يفيد علماً صحيحاً لم يجز لنا استعماله، لأن شريعتنا قد أحظرته، ونهت عنه، فلا يجوز لمسلم الدخول فيه، وكيف يجوز استعمال ذلك؟ وقد حظّر علينا النبي ﷺ ما دونه من تعليق الخرز، والحلق للمنفعة بها.

وأخرج عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى في عضد رجل حلقة من صفر، فقال: «**ما هذا؟**» فقال: من الواهنة، قال: «**انبذها عنك، فإنها لا تزيدك إلاّ وهناً، لو مت وهي عليك وكلت إليها**»[(١)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن كتاب الطب (٢/ ١١٦٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٤٥)، والبزار في المسند (٩/ ٣٢)، وابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمآن (ص ٣٣٨)، وإتحاف المهرة لابن حجر (١٢/ ١٦)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٧٢)، كلهم من طرق عن مبارك بن فضالة عن الحسن البصري عن عمران بن حصين به بألفاظ متقاربة، وفيه مبارك يدلس ويسوّي مع كونه صدوقاً، ومع ذلك وصف البوصيري إسناد ابن ماجه بأنه حسن، ثم ذكر المتابعة التالية، انظر مصباح الزجاجة (٣/ ١٤٠).
وتابع مبارك: أبو عامر الخزاز صالح بن رستم عن الحسن به أخرجه: الحاكم في المستدرك، كتاب الطب (٤/ ٢١٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، وابن حبان كما في الموارد (ص ٣٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٥٠)، وأبو يعلى في المسند، وهذه المتابعة قال عنها المنذري في الترغيب والترهيب إنها جيدة، مع أن أبو عامر الخزاز صدوق كثير الخطأ كما في التقريب.
وهناك متابعة ثالثة، أخرجها البزار في المسند (٩/ ٣١ـ ٣٢) من طريق يونس بن عبيد العبدي الثقة عن الحسن البصري به ولكن إسناد البزار ضعيف.
وعليه، فإن هذه الطرق يشدُّ بعضها بعضاً للاحتجاج، لولا الخلاف في سماع الحسن البصري من عمران بن حصين حيث ينفي سماعه من عمران ابن المديني وغيره، وذكر المنذري أن الحاكم قال: «وأكثر مشايخنا على أنه سمع منه»، وخروجاً من هذا الخلاف، فإن رواية الإمام أحمد في مسنده، فيها التصريح بسماع الحسن البصري من =

وأخرج عن أبي قلابة قال: قطع رسول الله ﷺ التميمة[١] من قلادة الصبي، قال: وهو الشيء يحرز في عنق الصبي من العين، وقطعها من عنق الفضل بن عباس رضي الله عنهما[٢].

قال الشيخ: فقد ورد هذا التغليظ في تعليق حلقة ونحوها، فكيف في خدمة كوكب وطاعة منجّم.

فإن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ عند هبوب بعض الرياح: هبَّت لموت عظيم من عظماء المنافقين؟.

وهو ما أخرجه الشيخ عن رافع بن خديج قال: «رحنا[٣] من المريسيع قبل الزوال، كان الجهد بنا يومنا وليلتنا» وساق الحديث إلى أن قال: «وسرح الناس ظهرهم فأخذتهم ريح شديدة حتى أشفق الناس منها وسألوا عنها رسول الله ﷺ فقال: «**لموت منافق عظيم النفاق بالمدينة، فلذلك عصفت الريح**»[٤].

= عمران؛ على الأقل في حديثنا هذا حديث الباب حيث قال الحسن: «أخبرني عمران...»، قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد (ص ١٢٧): «رواية الإمام أحمد ظاهرة في سماعه منه فهو الصواب» اهـ. وعليه يكون الحديث في درجة الحسن لغيره.

(١) التميمة: مفرد تمائم، وهي خرزات كانت العرب تعلّقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام، وانظر تيسير العزيز الحميد (ص ١٣٢) وما بعدها.

(٢) أخرجه معمر بن راشد الأزدي في الجامع الملحق بمصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٠٨) من طريق شيخه أيوب السختياني عن أبي قلابة. ورجاله ثقات إلا أنه مرسل، وهناك أحاديث وآثار في معنى هذا كثير تجدها عند: تيسير العزيز الحميد (ص ١٣٢ـ ١٤٢)، وانظر المصنف لابن أبي شيبة، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم (٥/ ٣٤).

(٣) هكذا في الأصل.

(٤) لم أقف عليه من رواية رافع بن خديج، وهبوب الريح في هذه الغزوة مذكورة عند أهل السير كالواقدي، وموسى بن عقبة، وابن هشام، وعند أصحاب دلائل النبوة كالبيهقي وأبو نعيم، ويعضّدها رواية جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم (٢٧٨٢). إلا أنه لم يصرّح بأن ذلك حدث في غزوة =

فالجواب: إنه يجوز أن يكون الله تعالى عرّف نبيه ﷺ أنه إذا هبّت ريح في يوم كذا فاعلم أني أُميت فلاناً، وكفيتك أمره، فيكون قول النبي ﷺ هذا لما تقدم من إخبار الله تعالى إيّاه ذلك.

فإن قيل: ما أنكرت أن يكون الله قد وضع على النجوم علامات ودلالات أنها إذا نزلت بعض البروج دلّت على كذا.

قلنا: لا يُنكر هذا لو أخبرنا الله تعالى بذلك ورسوله ﷺ، فأما ما لم يأت الخبر بذلك، فإنّا لا نجوّزه ولا نجوّز إلاّ ما جوّزته الشريعة، أو اجتمعت الأمة على تجويزه.

* * *

= المريسيع (بني المصطلق)، وإنما في سفر للنبي ﷺ، ولا خلاف؛ فما أطلقه جابر هنا قيّده وحدّده أصحاب السير، وجابر ممن حضر هذه الغزوة، أضف إلى أنه إذا تمعنت فيما ساقه البيهقي في دلائل النبوة من رواية موسى بن عقبة في هذه الحادثة يدلك على أن لفظ هبوب الريح في هذه الغزوة من لفظ جابر نفسه.

ويضاف هنا أيضاً إلى أنَّ الواقدي زاد في ذكر اسم هذا المنافق الذي هبّت الريح عند موته وهو زيد بن رفاعة بن التابوت كما في مطبوع دلائل النبوة للبيهقي، وفي سيرة ابن هشام، والبداية والنهاية لابن كثير بتقديم «رفاعة» على «زيد». وصدّر البيهقي مقولة الواقدي بـ«زعم» وهي صيغة تضعيف، والواقدي معلوم حاله. انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٤٢٣)، سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢٠)، دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٥٩ـ ٦٢)، دلائل النبوة لأبي نعيم (ص ٤٤٨)، البداية والنهاية (٢/ ١٥٨).

ذكر الأحاديث المأثورة
في النهي عن النظر في أحكام النجوم

وأخرج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تسألوا عن النجوم، ولا تفسرّوا القرآن برأيكم، ولا تسبّوا أحداً من أصحابي، فإن ذلك الإيمان المحض**»[(١)].

وأخرج عن علي رضي الله عنه قال: نهاني رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم، وأمرني بإسباغ الطهور[(٢)].

وبطريق أخرى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا علي أسبغ الوضوء،**

---

(١) لم أقف عليه عند غير المصنف.
وقد عزاه السيوطي للخطيب فقط. انظر الدر المنثور (٢/ ٦٤) من سورة الأنعام.

(٢) أخرجه المصنف في المتفق والمفترق (٢/ ٩١١).
وكذا أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ٥٠)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٩٩٥)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٤) وعزاه لابن مردويه، كلهم من طريق الربيع بن حبيب، عن نوفل بن عبد الملك، عن أبيه عن علي بلفظ الباب، غير أن لفظ الحديث عند العقيلي بزيادة النهي عن نزي الحمر عن الخيل والمذكور في الحديث الآتي من حديث علي أيضاً.
وسند الحديث هنا ضعيف فالربيع بن حبيب الكوفي قد ضُعّف وهناك من أنكر حديثه، وهناك من وثقه، وهناك من علّق تضعيفه بروايته عن نوفل بن عبد الملك وهو يروي عنه هنا، ونوفل بن عبد الملك بن المغيرة الهاشمي كذلك ضعيف، وقال أبو حاتم: مجهول. وعموماً قد ذكر العقيلي فيما يهمّنا هنا من الشاهد وهو النهي عن النظر في النجوم بأن الغالب على رواياتها اللين. وأرى أن هذا الشاهد: النهي عن النظر في النجوم، يتقوى للاحتجاج به للشواهد التي سوف تأتي.

وإن شقَّ عليك، ولا تأكل الصدقة، ولا تنز[١] الحمير على الخيل، ولا تجالس أصحاب النجوم»[٢].

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم»[٣].

---

(١) هكذا في الأصل، وكذا في مسند الإمام أحمد.
وفي إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة لابن حجر: «تنْزي»، وكذا في العلل للدارقطني (٤/ ١١٧)، والنهاية لابن الأثير، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ٥٠).
والمعنى أي: نحملها عليها للنسل، وللخطابي شرح أوضح فانظره في النهاية (٥/ ٤٤).

(٢) الحديث بلفظ الباب بتمامه أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على المسند من طريق شيخه محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا هارون بن مسلم، ثنا القاسم بن عبد الرحمٰن، عن محمد بن علي عن أبيه علي وهو زين العابدين عن علي بن أبي طالب.
انظر المسند (١/ ٧٨)، وإتحاف المهرة (١١/ ٥٧٨).
والحديث ضعيف جداً لعلّتين:
أ ـ ضعف القاسم بن عبد الرحمٰن ولعله الأنصاري للاشتباه هل هما اثنين أم واحد، ورجح الحافظ أنهما واحد، وهو ضعيف جداً كما قال ابن معين، بل قال: «ليس يسوى شيئاً»، وكذا ضعفه أبو حاتم وأنه حدث بحديثين باطلين، وذكره ابن عدي في كامله. انظر لسان الميزان (٥/ ٥٠١)، والكامل (٦/ ٣٦).
ب ـ للانقطاع حيث إن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين، لم يسمع من جدّه كما صرّح بذلك أبو زرعة الرازي لأنه لم يدركه أصلاً.
انظر: تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (ص ٢٣٤)، وإتحاف المهرة (١١/ ٥٧٦).

(٣) كما ترى عزيزي القارىء، هكذا أورد الذي اختصر الأسانيد سياق الحديث مكرراً ثلاث مرات، وهو يريد أن يلفت النظر إلى تنوّع أسانيد الحافظ الخطيب إلى الصحابي أبي هريرة لهذا الحديث، وكان الأوْلَى أن يشير في أول الأمر بإخراج الخطيب بأسانيد مختلفة أو شتّى عن أبي هريرة هذا الحديث، ولا يكرر لفظ الحديث إلا لزيادة، أو لفظ مختلف.
والحديث أخرجه المصنف في تاريخ بغداد (٦/ ١٣٣ـ ١٣٤)، وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٧٨) كلاهما من طريق عقبة بن عبد الله الأصم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي =

وأخرج بطريق آخر عنه رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نهى عن النظر في النجوم»[١].

وأخرج عنه رضي الله عنه بطرق شتّى أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم»[٢].

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها قالت: «نهى النبي ﷺ عن النظر في النجوم».

وأخرج عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا، وإذا ذُكرت النجوم فأمسكوا»**[٣].

وأخرج بطرق أخرى عنه مثله.

= هريرة. وفيه عقبة بن عبد الله الأصم ضعيف وربما دلس، قاله الحافظ في التقريب (٤٦٧٦).
وقال ابن عدي عقب الحديث: وهذا لا يعرف إلا بعقبة عن عطاء.
والحديث ذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٤)، وعزاه للمصنف هنا، وابن مردويه والمرهبي.

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) لم أقف عليه من حديث عائشة.
والسيوطي في الدرر (٣/ ٦٥) لم يعزوه إلا للمصنف فقط.

(٣) حسن لشواهده.
أخرجه من حديث ابن مسعود:
الطبراني في الكبير، كما ذكر العراقي، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة، كما ذكره الألباني عنه، وكذا ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤/ ١٥٥/ ٢)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٤٩٠)، كلهم من طريقين عن ابن مسعود ولكنها ضعيفة، صرّح بذلك العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ١٠٢٩ـ ١٠٣٠)، وذكره السخاوي في فتح المغيث (٣/ ٢٦٩ـ ٢٧٠) وعزاه للمصنف في كتابه هذا وقال: (لا يصح)، وكذا الالباني إلا أنه ذكره في السلسلة الصحيحة لشواهده فقال: «روي من حديث ابن مسعود، وثوبان، وابن عمر، وطاوس مرسلاً، وكلها ضعيفة الأسانيد، ولكن بعضها يشد بعضاً». انظر الصحيحة (رقم ٣٤).

وعن الأعمش مثله سواء.

قال الشيخ رحمه الله: أراد ﷺ بالإمساك عن النجوم: الكفّ عما يقول المنجّمون فيها من أنها فاعلة مدبرة، وأنها تُسعد وتنحس، وأنَّ ما يكون في العالم من حادث فهو بحركات النجوم، فأمر عليه الصلاة والسلام بالإمساك عن هذا القول، وأن يقال فيها: إنها كما جعلها الله تعالى يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويُعرف بالشمس والقمر عدد السنين والحساب، وإنَّ فيها دلالة على قدرة الله وحكمته.

وأخرج بطرق عديدة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس علماً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر ما زاد زاد وما زاد زاد**»(١).

إن قيل: كيف أضاف النبي ﷺ علم النجوم إلى السحر؟.

فالجواب: لأنهما وقعا من التمويه والخداع والأباطيل موقعاً واحداً، إذ النجوم لا فعل لها في خير ولا شر، وإنما الله تعالى الفاعل عند حركتها، وكذلك السحر. قال الله تعالى في قصة الملكين مع من أخذ السحر عنهما: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ

---

(١) صحيح.
أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٢٧، ٣١١)، وأبو داود في السنن، كتاب الطب، باب في النجوم (٤/ ٢٢٦)، وابن ماجه في السنن، كتاب الأدب، باب تعلم النجوم، حديث رقم (٣٧٢٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٤١)، والحربي في غريب الحديث (٣/ ١١١٩)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٩٢)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٢٨٧)، زاد السيوطي وعزاه لابن مردويه، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٢٦). كلهم من طريق أبو مالك عبيد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس.
وصحح إسناده العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٠٢٩)، وأحمد شاكر كما في تحقيقه للمسند رقم (٢٠٠٠)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩٣).
ثم رأيت السبكي صححه في معيد النعم ومبيد النقم (ص ١١٦).

إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٢] .

فأعلمنا أنَّ ذلك إذا وقع عن فعل واحد منهما فليس بواقع إلا بإذن الله، أي بإرادة الله عز وجل.

وأخرج عن عبد الله بن عوف بن الأحمر[١]: أنَّ مسافر بن عوف[٢] قال لعلي رضي الله عنه حين انصرف من الأنبار إلى أهل النهروان: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة، وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، قال علي رضي الله عنه: ولِمَ؟ قال: لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك بلاء وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت، وأصبت ما طلبت، فقال علي رضي الله عنه: ما كان لمحمد ﷺ منجّم ولا لنا من بعده، هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حسبت علمت، قال: من صدقك بهذا القول كذّب القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمَان: الآية ٣٤] الآية، ما كان محمد ﷺ يدّعي علم ما ادعيت علمه، تزعم أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب السوء من سار فيها، قال: نعم، قال: من صدّقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه، وينبغي للمقيم بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه، لأنك أنت ـ بزعمك ـ هديته إلى الساعة التي تنجي من السوء، فمن صدّقك بهذا القول لم آمن أن يكون كمن اتخذ دون الله ندّاً، أو ضدّاً، اللهم لا طائر إلاَّ طائرك، ولا خير إلاَّ خيرك، ولا إله غيرك.

نكذّبك ونخالفك، ونسير في الساعة التي تنهانا عنها، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إياكم وتعليم النجوم، إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، إنما المنجّم كالكافر، والكافر في النار، والمنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدتك الحبس ما بقيت وبقيت، ولأحرمنك العطاء ما

(١) لم أقف على ترجمته.
(٢) لم أقف على ترجمته.

كان لي سلطان، ثم سار في الساعة التي نهاه عنها، فلقي أهل النهروان فقتلهم، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا وظهرنا، لقال قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجّم، ما كان لمحمد ﷺ منجم، ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر، وسائر البلدان، أيها الناس توكلوا على الله تعالى، وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه[(١)].

وأخرج عن أبي لهيعة أن الربيع بن سبرة الجهني حدثه قال: لما غزا عمر رضي الله عنه، وأراد الخروج إلى الشام، خرجت معه، فلما أردنا أن ندلج نظرت فإذا القمر في الدبران، فأردت أن أذكر لعمر ذلك، فعرفت أنه يكره ذكر النجوم، فقلت له: يا أبا حفص انظر إلى القمر ما أحسن استواءه الليلة، فنظر فإذا هو في الدبران، قال: قد عرفت ما تريد يا ابن سبرة، تقول إن القمر بالدبران، وإنا والله ما نخرج بالشمس ولا بالقمر؛ ولكن نخرج بالله الواحد القهار[(٢)].

---

(١) في إسناد من لم أهتد لترجمته وهما عبد الله بن عوف الأحمر، والمنجّم مسافر بن عوف أضف إلى الاختلاف في إسناد القصة، فقد:
- أخرج القصة بلفظ الباب، الحارث بن أبي أسامة في المسند كما في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للهيثمي (ص ١٧٠)، كتاب الطب، باب ما جاء في النظر في النجوم، من طريق عبد الرحمٰن بن محمد المحاربي: ثنا عمر بن حسان، عن يوسف بن زيد، عن عبد الله بن عوف الأحمر به؛ مثله.
- وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٣٠- ١٢٣١) بنحو قصة الباب لا بلفظها تماماً من طريق عبد الرحمٰن بن محمد المحاربي، عن عمر بن حسان قال: كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه منجّم، فلما أراد أن يسير إلى النهروان. . . الخ.
فظهر الاختلاف على عمر بن حسان كما ترى، أضف إلى عدم وقوفي على ترجمته إلا ما وقفت عليه عند ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ١٠٥)، على راوي يُدعى عمر بن حسان البرجمي، وفي المطبوع بياض عند ذكر شيوخه، أو من روى عنه، وكذا إن كان لأبي حاتم كلام عليه، وعليه لست أدري أهو المقصود أم لا؟.

(٢) لم أقف عليه.
ولم أجد في كتب الأطراف والمسانيد رواية للربيع، أو أبيه عن عمر شيئاً.
وكذا لم أجد في تهذيب الكمال للمزي ذِكْرٌ لهما ضمن الرواة عن عمر بن الخطاب.

=

قال الشيخ: كذا كان هذا الحديث في أصل الحيري، وليس بمستقيم عند سماع الربيع بن سبرة عن عمر رضي الله عنه، ولعل الربيع رواه عن أبيه عن عمر رضي الله عنه، والله أعلم.

وأخرج عن قتادة [في][1] قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾ [النحل: الآية ١٥]، قال: طرقاً ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ [النحل: الآية ١٦].

قال: هي النجوم، قال: إنَّ الله تعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها نهتدي بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه، وقال رأيه، وأضاع نصيبه[2]، وتكلف ما لا علم له به، وإن أُناساً جَهلة بأمر الله تعالى قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من النجوم نجم إلاَّ يولد به الطويل والقصير، والأحمر والأبيض، والحسن والذميم. قال: وما علم هذا النجم، وهذه الدابة، وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه لا يعلم من السماوات والأرض الغيب إلاَّ الله وما يشعرون أيان يبعثون، ولعمري لو أنَّ أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله تعالى بيده، وأسجد له ملائكته، وعلّمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة، فأكل منها رغداً حيث شاء، ونهاه عن شجرة واحدة، فما زال به البلاء حتى وقع بما نُهي عنه، ولو كان أحد

= فلعل هذا مما تفرّد به المصنف هنا وبإسناد ضعيف لوجود ابن لهيعة كما هو مذكور أعلاه في السند.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) نقل الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٩٥) عن الداودي تعليقه على قول قتادة، فقال: «قول قتادة في النجوم حسن، إلا قوله: «أخطأ وأضاع نفسه» فإنه قصّر في ذلك، بل قائل ذلك كافر» اهـ. أي أنه يرى تساهل قتادة في الحكم على من تعاطى علم النجوم في غير ثلاث خصال الجائزة وكان عليه الحكم بالكفر في رأيه.
ولكن الحافظ قد ردّ عليه مباشرة بقوله: «ولم يتعين الكفر في حق من قال ذلك، وإنما يكفر من نسب الاختراع إليها، وأما من جعلها علامة على حدوث أمر في الأرض فلا» اهـ.

يعلم الغيب لعلمه الجن حين مات نبي الله سليمان عليه السلام، فلبث الجن يعملون له حولاً في أشدِّ العذاب وأشد الهوان لا يشعرون بموته ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ [سَبَإ: الآية ١٤] وهي في مصحف عبد الله: تبينت الأنس أنَّ الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، قال: قد كانت تقول قبل ذلك: إنَّا نعلم، فابتلاهم الله تعالى، وجعل موت سليمان للجن والإنس عبرة[١].

وأخرج عن الأصمعي عن مبارك، قال: قال رجل للحسن: طلع سهيل، وبَرَد الليل، فتكره ذلك؟ فقال[٢]: إنك ممن تُراعي سهيلاً؛ إنَّ سهيلاً لا يأتي ببرد، ولا ينصرف بحرّ[٣].

وربما أشكل على بعض الناس الحديث الذي أخبرنا عن علي بن أبي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٩٥ مع الفتح) تعليقاً، وذكر طرفه الأول فقط.
وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٩١) مختصراً.
وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٢٦) بلفظ الباب.
كلاهما من طريق يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة، ورجال أبي الشيخ ثقات.
وحفظ لنا الحافظ ابن حجر في كتابه تغليق التعليق (٣/ ٤٨٩) بروايته للأثر بإسناده من طريق مصنفنا الخطيب البغدادي حيث يرويه من طريق شيخه أبو بكر الحيري، ثنا محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد، ثنا يونس بن محمد، ثنا شيبان، عن قتادة.
وتابعه في روايته من طريق شيبان: عبد بن حميد في تفسيره كما في تغليق التعليق والفتح حيث يرويه من طريق شيخه يونس بن محمد عن شيبان به.
ويونس هو ابن محمد المؤدب، ثقة كما في التقريب.
وشيبان هو ابن عبد الرحمٰن النحوي، ثقة أيضاً.
فالإسناد صحيح إلى قتادة.

(٢) في الأصل: «وقال».

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢١٥) من طريق شيخه أبو يعلى، حدثنا هدبة، حدثنا أبو هلال قال: ذُكر عند الحسن حَرُّ سُهيل وبرده... الخ وزاده في آخره: «ولكنه قضاء الله وأمره».
وفي إسناده أبو هلال الراسبي محمد بن سليم، صدوق فيه لين، كما في التقريب (٥٩٦٠).

علي البصري، وأبو الحسين محمد بن محمد[١] النرسي، وأبو عبد الله الحسين بن محمد النصيبي، قالوا: ثنا أبو القاسم موسى بن عيسى السراج، قال: ثنا عبد الله بن سليمان[٢]، قال: ثنا علي بن خشرم[٣]، قال: الفضل بن موسى، عن الوليد بن جميع، قال: سأل رجلاً عكرمة عن حساب النجوم، وجعل الرجل يتحرج أن يخبره، قال عكرمة: سمعت ابن عباس يقول: علم عَجَز الناس عنه وددت أن علمته[٤].

قال الشيخ: والذي سأله عكرمة عنه؛ إنما كان من الضرب الأول الذي كانت العرب تختص به، فظنَّ الرجل أنه محظور لما سمع التغليظ الوارد في علم النجوم، وحسب أنه على العموم، يدل على ذلك ما قدمنا ذكره من رواية ابن عباس عن النبي ﷺ في التغليظ على من اقتبس علماً من النجوم[٥].

ويوضحه أيضاً ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن قوماً ينظرون في النجوم ويحسبون أبا جاد، وما أرى للذين يفعلون ذلك من خلاق[٦].

---

(١) هكذا في الأصل، وفي تاريخ بغداد (١/ ٣٥٦): «محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون النرسي أبو الحسين»، فإما نُسب في الأصل إلى جده، أو حصل تحريف.

(٢) هو ابن أبي داود صاحب السنن، حافظ، ثقة صاحب تصانيف، ت سنة ٣١٠هـ.

(٣) في الأصل: «الحشم»، وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.

(٤) إسناد حسن.
لأجل الوليد بن عبد الله بن جميع فإنه صدوق. والأثر في الدر (٣/ ٦٤) معزواً إلى المصنف فقط.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) صحيح.
أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الطب، باب في تعليم النجوم ما قالوا فيها (٥/ ٢٤١)، وعبد الرزاق في المصنف، باب الشهادة وغيرها (١١/ ٢٦)، كلاهما من طريقين يلتقيان عند ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس.
وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٩٣). وعليه فالمحفوظ وقفه من قول ابن عباس، لأنه جاء بنحو يرفعه ابن عباس، أخرجه الطبراني كما في المجمع (٥/ ١١٧)، بسند فيه خالد بن يزيد العمري الكذاب، قاله الهيثمي.

وأخرج عن ميمون بن مهران قال لابن عباس: أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله، وإياك وعلم النجوم، فإنه يدعو إلى الكهانة، وإياك[١] أن تذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلاَّ بخير، فيكبّك الله على وجهك في جهنم، فإنَّ الله تعالى أظهر بهم هذا الدين، وإياك والكلام في القدر، فإنه ما تكلم فيه اثنان إلاَّ أثِما أو أثمَ أحدهما[٢].

قال الشيخ: فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، إنَّ علم النجوم شعبة من السحر[٣].

وقال هو[٤]: إنه يدعو إلى الكهانة.

وكلا الأمرين؛ أعني السحر والنجوم، عظيم أمرهما فظيع شأنهما، والكهانة من علوم الجاهلية، وكانت الشياطين تسترق السمع، فتلقيه إلى أوليائها من الكهنة، فأبطلها الله تعالى بالإسلام، وحرس السماوات بالنجوم والشهب، ومنع الشياطين من استراق السمع.

وأخرج عن عبد الله بن مسعود [قال][٥]: من أتى كاهناً أو ساحراً أو عرّافاً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ[٦].

---

(١) جاء في حاشية الأصل عنوان هو: «مطلب التحريض على حب الصحابة». قد استنبطه ناسخ الكتاب ومهذبه من الأثر كما هو واضح.

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٣/ ٦٥) وعزاه للمصنف فقط، وجاء بنحوه مختصراً من قول ميمون نفسه مما يدل على أخذه بوصية ابن عباس وتبليغها للناس، فقد أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٩٤) بإسناد صحيح عن ميمون قال: «ثلاثة ارفضوهن: لا تنازعوا أهل القدر، ولا تقولوا لأصحاب نبيكم ﷺ إلا خيراً، ولا تنظروا في النجوم».

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أي ابن عباس كما في وصيته لميمون التي مرت قريباً.
ثم رأيت السيوطي عزى للمرهبي من طريق مكحول عن ابن عباس قال: «لا تعلّم النجوم فإنها تدعو إلى الكهانة».

(٥) سقط من الأصل.

(٦) صحيح.

=

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قيل: يا رسول الله، الكهان قد كانوا يحدّثون بشيء فيكون حقاً، قال: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنيّ، فيقذفها في أُذن وليّه، فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة**»[1].

قال الشيخ: إنما تدخل الشُّبه على الناس في أمر المنجمين من قبيل أنهم يرون المنجّم يصيب في مسألة تقع بين أمرين، كالجنين الذي لا يخلو من أن يكون ذكراً أو أنثى، أو المريض الذي لا يخلو من أن يصح أو يموت،

= أخرجه أبو يعلى في المسند (٥٤٠٨)، والبزار في المسند (٥/ ٢٥٦)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٣٦)، وابن مردويه كما في انتقائه على «أحاديث أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان» (ص ١٧٥ـ ١٧٦)، كلهم من طرق عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم عن عبد الله بن مسعود مثله.
قال الهيثمي في المجمع (٥/ ١١٨): «رواه البزّار، ورجاله رجال الصحيح، خلا هبيرة بن يريم، وهو ثقة».
وجوّد إسناده المنذري في الترغيب (٤/ ٣٦)، والحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٧).
وجاء في رواية البيهقي رواية سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي، وهو يروي عنه قبل اختلاطه.
وجاء الأثر من طريق آخر من رواية قتادة عن ابن مسعود، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢١٠)، وهو منقطع.
وأخرجه الطبراني (١٠/ ٩٣)، والبزار في المسند (٥/ ٣١٥)، من طريق الأعمش عن إبراهيم عن همام عن عبد الله به ووثّق رجاله المنذري، والهيثمي في المجمع (٥/ ١١٨).
واختلف في رفعه ووقفه من رواية أبي إسحاق السبيعي فقط، وصوّب وقفه وقال إنه هو الصحيح: الدارقطني في العلل (٥/ ٢٨١ـ ٢٨٢) و (٥/ ٣٢٨ـ ٣٢٩)، ولكن ما قاله لا يقال بالرأي.

(١) صحيح.
أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد (١٣/ ٥٣٥ مع الفتح)، وكتاب الطب (١٠/ ٢١٦)، وكتاب الأدب (١٠/ ٥٩٥).
ومسلم في الصحيح، كتاب الطب، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٢٢٢٨)، وغيرهما.

والغائب الذي لا يخلو من أن يقيم بمكان أن يؤب، ومن شأن الناس أن يحفظوا الصواب للعجب به، والشغف، ويتناسون الخطأ، لأنه الأصل الذي يعرفونه، والأمر الذي لا ينكرونه، ومن ذا الذي يتحدث بأنه سأل المنجّم فأخطأ، وإنما التحدث بأنه سأله فأصاب.

والصواب في المسألة إذا كانت بين أمرين قد يقع أحياناً للمعتوه والطفل فضلاً عن المتلطف الرفيق.

والقول في إصابة المنجم كقول الشاعر في الطير:

تعلم أنه لا طير إلاَّ
على متطير وهي الثبور
بل شيء يوافق بعض شيء
أحايينا وباطله كثير

وإن وجد لمن يدّعي الأحكام إصابة في شيء، فخطأه أضعافه، ولا تبلغ إصابته عشر معشاره، وتكون الإصابة اتفاقاً كما يظن الظان المنافي للعلم المقارن للجهل الشيء، فيكون على ظنه، ويخطىء فيما هو معلوم أكثر عمره، ولا يقال إن هذه إصابة يعوّل عليها، ولا يرجع إليها، بل إذا تكررت منه الإصابة في قوله، وكثر الصدق في لفظه، والصحة في حكمه، ولم يخرم منه إلا الأقل، حينئذٍ سُلِّمت له هذه الفضيلة، وشُهد له بهذه المعجزة.

ولا فرق بين المنجّم والكاهن، إذ كل واحد منهما يدّعي الإخبار بالغيوب، وكيف يُسلّم للمنجمين ما يدّعونه وأحدهم على التحقيق ما يعرف ما حدث في منزله، ولا يُصلح أهله وولده، بل لا يعرف ما يصلحه في نفسه، ويؤثر عنه أن يخبر بالغيب الذي لم يؤته الله أحداً، ولم يستودعه بشراً إلاَّ لرسول يرتضيه أو نبي يصطفيه.

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ مرَّ بنساء من الأنصار في عرس لهنَّ وهُنَّ يغنين:

وأهدى لها كبشاً[١] تُبَحبَحُ[٢] في المربد
وزوجك[٣] في النادي[٤] ويعلم ما في غدِ

فقال رسول الله ﷺ: **«لا يعلم ما في غدٍ إلا الله تعالى»**[٥].

وأخرج عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلاَّ الله: لا يعلم ما في الأرحام إلاَّ الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم ما في غد إلاَّ الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلاَّ الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله عز وجل»**[٦].

قال[٧]: وقد نطق القرآن بمثل ما تضمنه هذا الحديث، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] الآية.

ولم يذكر الله تعالى أنَّ عنده علم هذه الأشياء وفي خلقه من يعلمها

---

(١) جمع كبش، وهو الذكر من الغنم إذا أثنى أو خرجت رباعيته.

(٢) أي متمكنة في موضع حبسها وهو المربد، وهكذا جاء ضبط الكلمة في النهاية لابن الأثير (١/ ٩٨) وكذا الطبراني في معجمه الأوسط والصغير، وفي الفتح ومجمع الزوائد: (تنحنح)، وعند الحاكم في المستدرك: (ينحنحن) وكل ذلك خطأ منشأه تحريف من الطباعة أو ما شابه، ولعل الشيخ الألباني في آداب الزفاف تنبّه لذلك عند اعتماده على لفظ الحاكم فصوّب الكلمة إلى: (يبحبحن) وهو الموافق للفظ الباب.

(٣) في بعض المصادر: (وحِبك) والمعنى مقارب فالزوج محبوب زوجته.

(٤) وقع خطأ مطبعي في الفتح والمجمع حيث حُرفت الكلمة إلى: (البادي).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٨٤ـ ١٨٥) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن (٧/ ٢٨٩) والطبراني في معجميه الصغير (١/ ٢١٤ـ ٢١٥) والأوسط (٤/ ٢٤١).
قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٩٠): «رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح».
وعزاه الحافظ في الفتح (٩/ ٢٠٣) للطبراني في الأوسط وحسّن إسناده.
وأورده المحدث الألباني في آداب الزفاف (ص ١٨١ـ ١٨٢) محتجاً به.

(٦) رواه البخاري في عدة مواضع، انظر في الفتح (٢/ ٥٢٤) و (٨/ ٣٧٥) و (١٣/ ٣٦١).
وأحمد في المسند.

(٧) أي المصنف رحمه الله.

كعلمه، ولو كان في خلقه من يعلمها كعلمه ما كان لوصفه نفسه بالعلم بها موقع يختص بالتسليم إليه؛ لمشاركة خلقه فيها، ولا إفادة للمتصفح قراءتها، وإذا اشترك الخالق والمخلوق في شيء فكيف يتبين القادر منهما، والعاجز فيهما، وعلى أوضاع المنجمين وهم قد شاركوا رب العالمين تبارك وتعالى في علم هذه الأمور، لأن منهم من يخبر أنَّ طوفان نار يكون في آخر الزمان في وقت بعينه يحدّه؛ يأتي على الخلق ينشر له الكواكب، فالمظهر المتمسك بالشرع منهم يقول: إنه القيامة التي ذكرها الله تعالى.

ويتكلمون أيضاً في الغيث في تحاويل السنين، ويحكمون على الجنين في بطن أمه من مطالع يؤخذ للوقت، أو كان أخذ لسقوط النطفة، فيقولون ذكر هو أو أنثى، ومتى تلقيه أمه، ويتحققون بحكمهم مدة عمره، وما يكون حرفته، وأي شيء يصير إليه من كسبه، وأين يكون منيته، ولو صح أن أقوال المنجمين في القطع على الآجال صحيحة غير سقيمة، وفي الأرزاق والاكتساب صادقة غير كاذبة، لاحترس العباد من مالكهم، وجازت عليه حيلهم، وأفسد إرادته مكرهم.

وما أحسن ما قال عبد الله بن المعتز بالله[١] في ذلك.

فأخرج الشيخ بسنده عنه أنه قال: إنَّ أحكام النجوم يصلح تعاطي علمها لذي عقل ولا دين، لأنه لا سبيل إلى اتصال الصواب فيها، والذي يشبه الصواب فإنما يتهيأ بالاتفاق، وكيف العاقل من نفسه بأن يكذب مرة ويصدق أخرى، وإنما عمر الإنسان كالبضاعة التي لا ينبغي أن ينفقها إلا في علم يزداد بالاتفاق، فبعداً من باطل، وقرباً من حق، ولو أمكن أن لا يخطىء الناظر في أحكام النجوم لنفسه أو لغيره لكان في ذلك تنغيص للعيش، وتكدير لصفوه،

---

(١) هو عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون، الأمير أبو العباس الهاشمي العباسي، الأديب صاحب النظم الرائق، تأدّب بالمبرد وثعلب، نُصب للخلافة مدة يسيرة جداً بعد خلع المقتدر، وما لبث أن عاد المقتدر وقبض عليه فقتل سنة ٢٩٦هـ، وله مصنفات. انظر تاريخ بغداد (١٠/ ٩٥)، والسير (١٤/ ٤٢).

وتضييق لمنفسح الآمال التي بها قُرّت الأنفس وعُمّرت الدنيا، ولم يف ما يرجى من الخير ما يتوقع من الشر، لأن بعضاً لو يعلم أنه يموت إلى سنة لم ينتفع بشيء يكتسبه من دنياه، ولا صحة يمتنع بها قبل ذلك، وهذا لا يشبه تفضّل الله وإحسانه ورأفته بخلقه، ولو أن الناظر فيها عَلِمَ أنه لا يموت مائة سنة، وإنه يملك فيها ما ملك قارون ويكون على غاية الصحة، لبطر وما انتهى عن لذة ولا فاحشة، ولا تورع عن محرم، ولا اتّقى حتفاً هاجماً، ولا زوالاً من نعمة، إيكالاً على ما علم من عمره وحاله، ولفسدت الدنيا بذلك فسادها بإهمال الناس لو تركوا من أمر الله ونهيه، ولأكل بعضهم بعضاً، ولعل أحدهم أن يؤخر التوبة إلى يوم، أو ساعة، أو سنة قبل موته، فيتحاذق على ربّه ويدخل الجنة بتوبته، وليس هذا في حكمة الله عز وجل وصواب تدبيره، فلا شك أنَّ الخير فيما اختاره الله لنا من طي علم ذلك عنّا، وله الحمد على جميل صنعه ولطيف إحسانه.

وأخرج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قيل له: هل لعلم النجوم أصل؟ قال: نعم، كان نبي من الأنبياء يقال له يوشع بن نون[1]، فقال له قومه: إنّا لا نؤمن لك حتى تعلمنا بدء الخلق وآجاله، فأوحى الله تعالى إلى غمامة فأمطرتهم، واستنقع على الجبل ماء صافٍ، ثم أوحى الله تعالى إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء، ثم أوحى إلى يوشع بن نون أن يرتقي هو وقومه على الجبل، فارتقوا الجبل، فقاموا على الماء حتى عَرفوا بدء الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم، وساعات الليل والنهار، فكان أحدهم يعلم متى يموت، ومتى يمرض، ومن ذا الذي يولد له، ومن الذي لا يولد له، قال: فبقوا كذلك برهة من دهر، ثم إنَّ داود عليه الصلاة والسلام قاتلهم على الكفر فأخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضر أجله، ومن حضر أجله خلّفوه في بيوتهم، فكان يُقتل من أصحاب داود، ولا

(١) في حاشية الأصل: «مطلب يوشع بن نون وأهل علم النجوم، ويكره النظر فيه، ومن علمه، ومتى بطل علمه».

يُقتل من هؤلاء أحد، فقال داود: يا رب أُقاتل على طاعتك ويقاتل هؤلاء على معصيتك، فيُقْتَل أصحابي ولا يُقْتل من هؤلاء أحد، فأوحى الله إليه: إني كنت علّمتهم بدء الخلق وآجاله، وإنما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله، ومن حضر أجله خلّفوه في بيوتهم، فمن ثَمَّ يقتل من أصحابك، ولا يقتل منهم أحد، قال داود: يا رب، على ماذا علّمتهم؟ قال: مجاري الشمس والقمر والنجوم، وساعات الليل والنهار، قال: فدعى الله، فَحُبِسَت الشمس عليهم، فزاد في النهار، فاختلطت الزيادة بالليل، فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط عليهم حسابهم، قال علي: فمن ثمَّ كره النظر في النجوم[1].

قال الشيخ: في إسناد هذا الحديث غير واحد مجهول، وما ذُكر من علم القوم بأوقات آجالهم، وغير ذلك من غالب أحوالهم غير مقبول، وحَبْس الله تعالى الشمس على داود ليس بصحيح، لأن في رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إنَّ الشمس لم تحبس على أحد إلا على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»[2].

وأما بطُولُ علم النجوم المتعلق بالأحكام فإنه صحيح من الوجوه التي

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٢١) وعزاه للمصنف هنا، وقال عن إسناده: ضعيف جداً. وكذا عزى القصة إلى أبي حذيفة البخاري في كتابه المبتدأ، وذكر الحافظ القصة من طريق أبي حذيفة الأرحبي سلمة بن صهيب عن علي، كما ذكر الحافظ.
وجاء في الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٥) بعد عزوه القصة للمصنف هنا وذكره لتضعيف الخطيب لها أنها من طريق عطاء قال: قيل لعلي بن أبي طالب. . .
فلعل الخطيب يرويها من طريقين، ولا شك في انقطاع رواية عطاء عن علي لعدم تصريحه بالسماع، ولأنه لا يوجد راوي اسمه (عطاء) يروي عن أمير المؤمنين علي.
ثم لفظ القصة فيها نكارة نبه عليها الحافظ في الفتح، والمصنف كما سيأتي من حبس الشمس على داود عليه السلام، والمحفوظ حبسها عن يوشع بن نون فقط.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٢٥).
وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٣٢٣) وقال: «انفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري».
وذكره ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٢١)، وقال: «رجال إسناده محتج بهم في الصحيح».

تقدم ذكرها، ومما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى.

فأخرج عن أبي القاسم إبراهيم بن عبد الكريم الشيباني قال: لما تجهّز المعتصم لغزو عمورية، حكم المنجمون على ذلك الوقت أنه لا يرجع من غزوه، فإن رجع كان مغلولاً خائباً لأنه خرج في وقت نحس، فكان من فتحه العظيم وظفره ما لم يخف[١]، حتى وصف ذلك أبو التمام الطائي في قصيدته[٢] التي أولها: (السَّيفُ أصدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ)، فقال:

والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لامعةً
بينَ الخميسينِ لا في السبعةِ الشُّهُبِ[٣]

أينَ الروايةُ أم أينَ النجوم وما
صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كَذِبِ

تَخَرُّصاً وأحاديثاً مُلَفَّقةً
ليست بنبعٍ إذا عُدَّتْ ولا غَرَبِ

عجائباً زعموا الأيام مجفلةً
عنهن في صفر الأصفار أو رجبِ

وخوّفوا الناس من دهياء مظلمة
إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

وصيّروا الأبرج العليا مرتبة
ما كان منقلباً أو غير منقلبِ

(١) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٣) وصدّره بصيغة (قيل)، وأما أبيات أبو تمام فثابتة في ديوانه، وتعدُّ من أجود قصائده، وتقع في واحد وسبعين بيتاً.

(٢) انظر ديوان أبي تمام، بشرح التبريزي (١/ ٤٠ـ ٧٤).

(٣) فيه الردُّ على المنجمين بما حكموا به، لأن ظفر ونصر المعتصم كان بعد حكمهم، أشار إلى ذلك التبريزي.
والمقصود بـ «السبعة الشهب»: الطوالع التي أرفعها زحل، وأدناها القمر، و«الخميسان»: الجيشان.

يقضون بالأمر عنها وهي غافلة
ماذا رأوا في فلك منها وفي قطبِ
لو بينت قط أمراً قبل موقعه
لم يخف ما حلّ بالأوثان والصلبِ

وأخرج عن أبي الطيب الحسين بن عبد الله الكاتب، لمحمد بن حبيب الضبي:

إن النجوم التي تسري بها العرب
زرق الأسنة والهندية القضب
البيض والسمر أمضى في مطالعها
من النجوم وأُسْدُ الحرب...[1]
لأنها أنجم شهب إذا نجمت
ضلّت هناك لديها الأنجم الشهب
كفاك بالسيف نجماً ليس يسعده
رأس فينجيه في حالة ذنب
ما للكواكب من صنع ومن عمل
إلاَّ التخرص من قوم بها اكتسبوا
إنَّ النجوم غفول في أماكنها
عمّا تدور به الأيام والحقب
فكيف تحدث فيما بيننا عقبا
من الزمان وفيما بينها عقب
أم كيف يقضي على ما لا نشاهده
منها وما هي عنه نزح غيب

(١) كلمة بها طمس.

ما في النجوم لذي لب ومعرفة
ممـيـز وطـرٌ يـومـاً ولا إرب
لو أنها فعلت شيئاً إذا رفعت
عنها المناحس إذ ذاك الذي يجب
فالبعض يكسف منها البعض معترضاً
فآفل مرة عنها ومنقلب
حصل على المدعي علماً بغامضها
فإن محصوله التمويه والكذب
من لم يكن عالم ماذا يحل به
لم يدر من غيره ما بعد يكتسب
إنَّ الذي ابتدع الأشياء دبّرها
في الخلق لا فلك يدري ولا قطب

وأخرج عن الحسن، أن قيصر[١] سأل قس[٢] بن ساعدة، قال:

---

(١) لقب لملوك الروم، ووفادة قس بن ساعدة لقيصر معلومة، انظر مثلاً: الأمالي للقالي (٢/ ٣٧)، فيها سؤال قيصر لقس عدة أسئلة ليس منها سؤال الباب.

(٢) في الأصل: «قيس»، وهو خطأ فاحش.
وهو قس بن ساعدة بن حذافة الإيادي البليغ الخطيب المشهور، من المعمرين، مشهور بالحكمة والفصاحة والدين، وكان قد تنصّر وترهبن، يقال: إنه أدرك شمعون حواريّ المسيح عليه السلام، وكان أسقف نجران، وقد ذكره غير واحد من مصنفي رجال الصحابة فيهم، وله قصة مشهورة في سؤال النبي ﷺ وسماعه لحكمته قد اختلف العلماء في صحتها ولكن لكثرة طرقها أثبت البعض أن لها أصلاً، كابن كثير والبيهقي.
قال الحافظ: وقد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس، وفيه شعره، وخطبته، وهو في المطولات للطبراني وغيرها، وطرقه كلها ضعيفة. اهـ كلامه.
انظر ترجمته وأخباره في الإصابة (٥/ ٥٥١)، البداية والنهاية (٢/ ٢٣٠)، منال الطالب في شرح طول الغرائب لابن الأثير (١/ ١٣٠)، دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٤٥٣)، دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٢٧)، الأغاني (١٥/ ٢٤٧)، خزانة الأدب (٢/ ٧٧)، المعمرين لأبي حاتم (ص ٨٧).

أخبرني، هل نظرت في النجوم؟ قال: نعم أيها الملك نظرت فيما يراد به الهداية ولم أنظر فيما يراد به الكهانة، وقد قلت في النجوم أبياتاً من الشعر، فأنشأ:

علم النجوم على العقول وبال
وطلاب شيء لا ينال ضلال
ماذا طلابك علم شيء غُيبت
من دونه الخضراء ليس ينال
هيهات ما أحد بغامض فطنة
يدري كم الأرزاق والآجال
إلا الذي من فوق عرش ربنا
فلوجهه الإكرام والإجلال

وأخرج عن عبد الرحمٰن بن عبد الله القاري[1] أنه أنشد:

أيها المعتزي إلى التنجيم
تهت في غمرة الجهول الأثيم
أتعلم النجوم تحكم في الغيب
بحكم يردّ حكم الحكيم
كيف تدري النجوم أم كيف تنبىء
بقضاء مغيّب مكتوم
وهي لا تعلم النحوس إذا ما
أدركتها من أي ما أقليم
لا ومن ظلتُ أرتجي منه عفواً
عن ذنوبي وفرجة لهمومي

---

(١) له ترجمة مختصرة في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٩٢).

ما على الأرض من يطيق من الخلق
دفاع المكوّن المحتوم
فَكِل الأمر إن عقلت إلى اللّـ
ـه ولا تغتر بلبس النجوم

حدثني عبد الله بن محمد بن علي، قال: أنبا أبو عمارة التنيسي، قال: أنبا إبراهيم بن عبد الكريم الشيباني، قال: ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي(١) في كتاب الأدوار ما أقام به للمنجمين عذراً لأغلاطهم فحطّ بذلك من أقدارهم: أنَّ علماء الهند كانوا أحذق الناس بهذا العلم، وأصدقهم في الحكم، وإنه نشأ فيهم أولادهم، فأحبوا إفادتهم علمهم، فواظبوا عليهم، فلم يزدهم طول المواظبة من العلم لغموضه إلاَّ بُعداً، ومن فهم إلاَّ جهلاً وصداً، فأجمع العلماء على أن يختصروا من علمهم جزءاً، ويلقونه إليهم ليقرب فهمه عليهم، فاختصروه، وصنفوه كتابين: الأرجبهر، وتفسيره جزء من ألف جزء من علمهم، والمجسطي(٢)، وألقوا ذلك إليهم، فقبلته أفهامهم، وقويت على تعلّمه طباعهم، وهلك المختصون، وأسنّ المتعلمون، ونشأ فيهم شباب وغلمان أحبوا لهم مثل ما أحبَّ من كان قبلهم، فجذبوهم إلى التعليم،

---

(١) الفيلسوف، كان رأساً في حكمة الأوائل، ومنطق اليونان، والهيئة، والتنجيم، والطب، وله باع طويل في الهندسة والموسيقى، وله مصنفات في علم النجوم، وكان متهماً في دينه، بخيلاً، ساقط المروءة، همَّ بأن يعمل شيئاً مثل القرآن فبعد أيام أذعن بالعجز، أكثر من ترجمه لم يحدّد سنة وفاته ورجّح محقق كتاب طبقات الأطباء والحكماء أنه في حدود سنة ٢٢٥هـ.
انظر: السير للذهبي (١٢/ ٣٣٧)، لسان الميزان ـ الطبعة المحققة ـ (٧/ ٤٩٨)، طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (ص ٧٣).

(٢) هو كتاب في علم الهيئة والنجوم وحركات الكواكب والأفلاك في ثلاث عشر مقالة ـ حسب الترجمة العربية ـ ألّفه بطليموس قلاوديوس، وأول من اعتنى بترجمته إلى العربية وتفسيره يحيى بن خالد بن برمك، ت سنة ١٩٠هـ، ثم توالت عليه الشروح والتحرير، وفي تاريخ اليعقوبي تفصيل واف لمقالاته وأبوابه. انظر طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (ص ٣٧ الهامش) الفهرست (ص ٢٦٧).

فاستغلق بابه عليهم، ودقَّ ما كان اختُصِرَ على عقولهم، فلم يفهموه ولا تعلموه، فقال المسِّنون: قد عرض لهؤلاء من قلة الفهم ما يخاف معه دثور هذا العلم، وقد كان علماؤنا اختصروا لنا من علمهم ما قد صعب اليوم عليهم، فاختصروا لهؤلاء أيضاً مثل ما اختُصِرَ لنا، فاختصروا من «الأرجبهر» جزء من ألف جزء، وصنّفوه كتاباً يُدعى «الأركند» وتفسير: المسهل، وألقوه عليهم فقبلوه وتعلموه، وأحاطت به أفهامهم، وأدركته أذهانهم، ثم اختصر من «المجسطي»، ومن هذين الكتابين؛ أعني «الأركند» و «البطلميوسي» اختصرت «الزّيجات» التي بأيديهم اليوم.

قال يعقوب: فما ظنك بعلم اختصر منه جزء من ألف جزء، ومن جزء من ألف جزء، ما يبقى من الإصابة فيه.

قال الشيخ: فأورد هذا كما ترى للاعتذار من بعد إصابة المنجمين، وكثرة أغلاطهم.

وهذه الحكاية ما نعلم ألها صحة أم لا، وإلا اشتبه[١] بطُولُها والله أعلم، ولو قال قائل: إن «الزّيجات» قد اختصرت من مختصر المختصر، وأنَّ اختصارها مثل ما تقدم ذكره من جزء من أجزاء كثيرة ما أنكر قوله لمشابهة ما كان قبله، ولو صح ما ذكره يعقوب من ذهاب ما ذهب من علم النجوم[٢] واختلاله لكان تركه والإعراض عنه أولى من استعماله.

وأخرج عن محمد[٣] بن علي بن الحسين بن أبي طالب قال: كانت أرض بين أبي وبين رجل، فأراد قسمتها، وكان الرجل صاحب نجوم، فنظر إلى الساعة التي فيها السعود فخرج فيها، ونظر إلى الساعة التي فيها النحوس فبعث إلى أبي، فلما اقتسما الأرض، خرج خير السهمين لأبي، فجعل

---

(١) هكذا قرأت الكلمة.

(٢) جاء في حاشية الأصل: «مطلب مهم» وهو بالفعل استنباط مهم للخطيب البغدادي على ما ذكره يعقوب الكندي.

(٣) هو أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، توفي سنة بضع عشر ومئة، التقريب (٦١٩١).

صاحب النجوم يتعجب، فقال له أبي: ما لك؟ فأخبره الخبر، فقال له أبي: فهلاً أدلّك على خير مما صنعت، إذا أصبحت فتصدّق بصدقة يذهب عنك نحس ذلك اليوم، وإذا أمسيت فتصدّق بصدقة يذهب عنك نحس تلك الليلة[١].

وأخرج عن عبد الحكم بن سلام المصري[٢]، قال: سمعت ذا النون المصري[٣] يقول: رأيت في بعض البراري كتاباً ـ وكان يقرأ ذلك اللسان ـ فدبرته[٤]، فإذا فيه:

يدبر بالنجوم وليس يدري
ورب العرش يفعل ما يريد[٥]

وأخرج عن الأصمعي قال: قال الخليل بن أحمد[٦]:

بلّغا عنّي المنجّم أنّي
كافر بالذي قضته الكواكب
مؤمن أنَّ ما يكون وما كان
قضاء من المهيمن واجب

---

(١) لم أقف عليه فيما أحسبه من مظان هذا الأثر.

(٢) هو عبد الحكم بن أحمد بن محمد بن سلام الصدفي مولاهم المصري، وصفه الذهبي بالشيخ الصدوق، وذكر من شيوخه ذي النون المصري، ت سنة ٣١٨هـ، السير (١٤/ ٥٢٢).

(٣) هو أبو الفيض، اختلف في اسمه، وكان زاهداً، وشيخ الديار المصرية، وأخباره وأقواله كثيرة في الزهد. ت سنة ٢٤٦هـ. انظر حلية الأولياء (٩/ ٣٣١)، تاريخ بغداد (٨/ ٣٩٣)، السير (١١/ ٥٣٢).

(٤) لعل الصواب: فتدبرته.

(٥) وأخرج أبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٣٩) من طريق عبد الحكم بن سلام الصدفي قال: سمعت ذا النون المصري يقول: قرأت في باب مصر بالسريانية، فتدبرته، فإذا فيه: «يُقدّر المقدّرون، والقضاء يضحك».

(٦) أبو عبد الرحمٰن الفراهيدي، الإمام، صاحب العربية، ومنشىء العروض، أحد الأعلام الزهاد، ومصنّف كتاب العين، ولم يتمه. ومات سنة بضع وستين ومئة، وقيل أكثر. السير (٧/ ٤٢٩)، شذرات الذهب (٢/ ٣٢١).

وأخرج عنه أيضاً للخليل بن أحمد:

بلغا عني المنجم أني كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أنَّ ما يكون وما كان قضاء من المهيمن واجب
موقن أنَّ من تكهن أو نجم كلٌّ على المقادير كاذب

قال أبو بكر الأنباري: البيت الثالث أنشدنيه أبي بغير هذا الإسناد.

وأخرج عن الحسين بن القاسم الكوكبي(١)، قال: حدثني أبو خليفة، قال: وقف بعض المنجمين على أبي بكر الأصم(٢)، فقال له: كيف أصبحت يا أبا بكر؟ قال: أصبحت أغدو على الاستخارة لله تعالى، وأنت تغدو على الطالع، وأصبحت أرجو الله، وأنت ترجو المشتري، وأصبحت أخاف الله عز وجل، وأنت تخاف زحل.

أخبرنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري، قال: قيل لأبي محمد الباقي(٣) أنَّ منجّماً لقي رجلاً مسلماً، فقال له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أرجو الله وأخافه، وأصبحت أنت ترجو المشتري وتخاف زُحل، فنظمه الباقي شعراً وأنشدناه(٤):

---

(١) أبو علي الكاتب، صاحب أخبار وآداب، قال الخطيب: ما علمت من حاله إلا خيراً. ت سنة ٣٢٧هـ. انظر تاريخ بغداد (٨/ ٨٧).

(٢) شيخ المعتزلة، كان ديّناً وقوراً، صبوراً على الفقر، منقبضاً عن الدولة، إلا أنه كان فيه ميل عن الإمام علي، قاله الذهبي، انظر السير (٩/ ٤٠٢).

(٣) هو عبد الله بن محمد البخاري الباقي، نسبة إلى «باف» قرية من قرى خوارزم، كان من أفقه أهل زمانه، مع المعرفة بالنحو والأدب، فصيح اللسان وبليغ الكلام، ت سنة ٣٩٨هـ، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣١٧).

(٤) ذكرها السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٣١٩ـ ٣٢٠) معزوة إلى المصنف في كتابه هذا، وذكر إسناد الخطيب كذلك.

أصبحتُ لا أرجو ولا أخشى سوى
الجبار في الدنيا ويوم المحشَرِ
وأراك تخشى ما يقدر أنه
يأتي به زُحَلٌ وترجو المُشْتَري
شَتّان ما بيني وبينك فالتزم
طرق النجاة وخلِّ طُرْقَ المنكر

وأخرج عن الباقي له[1]:

وكنتُ إن بكَّرتُ في حاجةٍ
أطالع التَّقويم والزِّيجا
فأصبح الزِّيج كتصحيفِهِ
وأصبح التقويمُ تعويجا

وأخرج عن منصور الفقيه له[2]:

من كان يَخشَى زُحَلاً
أو كان يرجو المُشْتَري
فإنني منه وإن
كان أبي الأدنى بَرِي

وأخرج عن منصور الفقيه أيضاً له[3]:

---

(١) ذكره السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٣٢٠)، وذكر إسناد الخطيب، حيث قال الخطيب: وأخبرني عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي، قال: أنشدني أبو زرعة روح بن محمد القاضي، قال: أنشدنا عبد الله بن محمد الباقي لنفسه. . . فذكره.

(٢) ذكره السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٤٨٢) وعزاه للمصنف هنا وذكر إسناده، فانظر هناك، والبيتان في معجم الأدباء (١٨٦) كما ذكر ذلك محققا طبقات الشافعية رحمهما الله تعالى.

(٣) ذكره كذلك السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٤٨٢) وعزاه للمصنف، وذكر إسناد الخطيب، وذكر محققا الكتاب أن البيتين في معجم الأدباء.

إذا كـنـت تـزعـم أن الـنـجـوم
تـضـرُّ وتـنـفـع مَـن تـحـتَـهَـا
فـلا تُـنـكِـرنَّ عـلـى مـن يـقـولُ
بـأنـك بـالـلّـه أشـركـتَـهـا

ولمنصور أيضاً فيما بلغني عنه بغير هذا الإسناد(١):

لـيس لـلـنجـم إلى ضُـر ولا نَـفْع سَبيـلُ
إنـما النجمُ على الأوقات والسمت دليلُ

أنشدني أبو النجيب عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي(٢)، قال: أنشدني معروف بن محمد المذكر(٣) لابن عباد الصاحب(٤):

خـوّفـنـي مـنـجّـم أخـو خَـبـل
تـراجـع الـمـريـخ فـي بـرج الـحـمـل
فـقـلـت دعـنـي مـن أبـاطـيـل الـحـيـل
الـمـشـتـري عـنـدي سـواء وزُحـل
أدفـعـه بـخـالـقـي عـزَّ وجـل

(١) طبقات الشافعية (٣/ ٤٨٢)، ومعجم الأدباء (١٨٧).

(٢) رحل إلى أصبهان فسمع من أبي نعيم الحافظ وغيره، وقدم بغداد، وعلّق عنه الخطيب شيئاً يسيراً كما قال، أدركه أجله بين دمشق والرحبة سنة ٤٣٣هـ. تاريخ بغداد (١١/ ١١٧).

(٣) هو أبو المشهور معروف بن محمد بن معروف الواعظ، وذكر الخطيب أنه مطعون في نسبه وليس بثقة. تاريخ بغداد (١٣/ ٢٠٩).

(٤) هو الوزير الكبير العلامة، الصاحب، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني الأديب الكاتب، كان شيعياً معتزلاً مبتدعاً، تياهاً صلفاً جباراً، وقد قيل إنه تطاول على الإمام البخاري ووصفه بأنه حشوي لا يعوّل عليه، وله تصانيف، وكان يتصدق، مات بالري سنة ٣٨٠هـ. انظر السير للذهبي (١٦/ ٥١١).

حدّثني عبد الله بن محمد بن علي[١]، أنا أبو عمارة التنيسي[٢]، أنا إبراهيم بن عبد الكريم، قال: أنشدت لبعضهم:

إذا ما أراد اللّه تضيع قطعه
على جاهل صارت بكف منجم
وإلا فما يغني المنجّم زيجه
وتقويمه عن حد وليّ مقوم
لعمرك ما يبريك من داء علة
طبيب به داء كذلك فافهم
ولكن تعليل النفوس توهم
وليس يشين المرء مثل التوهم
رأيت البلايا والمنايا خفية
إذا خفي الشيء الخفي فسلّم

وقال إبراهيم: أنشدت للبيني:

باكرني عن النجوم يسأل
ينتظر السعد حين يتصل
الحمد للّه في بريته
لا ينفع المشتري ولا زحل
سأجعل اليأس منهما أملي
واليأس من مثل ذا الورى أمل
متكلاً في الذي أروم على من
كل خلق عليه يتكل

---

(١) لم أقف على ترجمته.
(٢) لم أقف على ترجمته.

أنشدني أبو النجيب الأرموي، قال: أنشدني أبو النصر البارقي بِسُهْرَوَرْد[١] لأبي فراس[٢] بن حمدان[٣]:

يــا مــعــجــبــاً بــنــجــومــه
لا الــنــحــس مــنــك ولا الــســعــادة
الــلّــه يــنــقــص مــا يــشــاء
مــنــه إتــمــام الــزيــادة
دع مــا تــريــد لــمــا يــريــد
فــإنَّ لــلّــه الإرادة

أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروز آبادي[٤] الفقيه، لنفسه[٥]:

حـكـيـمٌ يـرى[٦] أنَّ الـنـجـومَ حـقـيـقـةٌ
ويـذهـبُ فـي أحـكـامِـهـا كُـل مَـذْهَـبِ
يُـخـبِّـرُ عـن أفـلاكِـهـا وبُـرُوجِـهـا
ومـا عـنـده عـلـمٌ بـمـا فـي الـمُـغـيَّـبِ

---

(١) بضم السين، وسكون الهاء، وفتح الراء والواو، بلدة قريبة من زنجال بالجبال، خرج منها جماعة من الصالحين والعلماء. معجم البلدان (٣/ ٣٢٩).

(٢) في الأصل: «قواس» وهو خطأ.

(٣) هو الأمير الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الشاعر المفلق، وكان رأساً في الفروسية، والجود، وبراعة الأدب، قُتل سنة ٣٥٧هـ، وديوانه مشهور. انظر السير (١٦/ ١٩٦).

(٤) هو شيخ الإسلام، وشيخ الشافعية، الإمام القدوة أبو إسحاق الشيرازي، ذو التصانيف السائرة، والزهد والورع، ت سنة ٤٧٦هـ، ولم يتزوج. انظر السير (١٨/ ٤٥٢)، طبقات الشافعية (٤/ ٢١٥).

(٥) البيتان ذكرهما السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٢٥) وعزاها للمصنف في كتابه هذا.

(٦) في طبقات الشافعية: (رأى).

وأخرج عن فضل بن مروان[١] يقول: علمان نظرت فيهما، أمعنت النظر فلم أرهما يصحان: النجوم والسحر[٢].

وهذا كلام لبعض المتقدمين في الطعن على المنجمين:

قال بعض علماء السلف: يقال للمنجّم: أخبرني عمّا ادّعيته من علم النجوم وكثرة شواهده وبراهينه لست تعلم أنه قد خالفك فيه مخالفون، وطعن عليك طاعنون، فأقلّهم عليك اعتراضاً وأسهلهم فيك أمراً من يزعم أنَّ قياسك قياس فاسد، ونظرك نظر مدخول، وأنك لا ترجع من ذلك إلاَّ إلى ظن وحسبان، وأكثر ما تقوله منه فإنما تقوله بالحدس والتبخيت، وأنك في أكثره كصاحب الزوج والفرد، أو كالمتخرّص المدّعي علم الغيب، ويستدل قائل هذا عليك بكثرة خطأك في قضاياك، وقولك للشيء إنه يكون ولا يكون، وللشيء إنه لا يكون فيكون، وفي توقيتك للشيء وقتاً قريباً فيكون بعيداً، وربما باعدته فيكون قريباً، ويخبر عن مقدار الشيء الكائن فيتضعف أضعافاً، وربما نقص نقصاناً كثيراً، ويمتحنك الممتحن، فيقول: بمَ تقضي عليّ أقوم أم أقعد؟

فإن قلت: تقوم قعدت، وإن قلت: تقعد قمت.

فإن قلت: هذا لطيف لا يضبطه الحساب ولا يحصله القضاء.

قال لك: وما يدريك لعل أمر النجوم كله لطيف لا يضبطه الحساب، ولا يحصّله القضاء، ولا يصح فيه.

وكذا إن قلت: إنَّ هذا لا يكون إلا من غلط الحاسب والمنجّم.

قال لك خصمك: فلعل أول هذا وآخره غلط وأنت تعلم.

---

(١) هو الوزير الكبير، كما قال الذهبي، أبو العباس، كان من البلغاء، وكان فيه جوروتيه، وكانت وزارته في عهد المعتصم، ت سنة ٢٥٠هـ، السير (١٢/ ٨٣).

(٢) ذكره عنه الذهبي في السير (١٢/ ٨٤) وجاء بدل النجوم: النحو، وهو خطأ ولا شك، لعله تصحيف في أصل السير المخطوط.

فإن قلت: إن الذي يؤمنني من الغلط في الكل والذي يدلني على أن فيه الأمر الجليل المفهوم أني قد أجد كثيراً من ذلك صحيحاً، وأني إذا تحفظت في الحساب والحكم أصبت ولم أخطىء.

رجع خصمك إلى أن يقول: فهكذا أصحاب الحدس والتبخيت والتخليط، والناظرون في الأكتاف قد يصيبون كثيراً، ويقول قائلهم: لو تحفظت لم أخطىء، وكذا صاحب الزّكان قد يصيب بأكثر من صوابك، ويجيب بأوضح من جوابك، وهذا الراجز يأتي بالأمر العجيب والصواب الكثير، ويخبر عن الشاهد والغائب، وعما كان ويكون في الأوقات اليسيرة، والمدد القريبة، ولا يحتاج في ذلك إلى أخذك الارتفاع، وتعرّفك الوقت، وإحصائك الساعات، وإقامتك الطالع والأوتار، وتقوّمك الكواكب، ومعرفتك بالاتصال والانصراف، ومطارح الشعاع في الطول والعرض مع أشياء غير ذلك من أعمالك، وكل واحد ممن ذكرنا عند خصمك أكثر منك صواباً، وأحضر جواباً، وأقل تردداً وتوقفاً، وأمضى عزيمة، وأنفذ بصيرة، مع غنائهم عن آلاتك وكثرة مقدماتك، وليس الشأن أن تحسن أمر نفسك، وتلتمس لها المعاذير عند خصمك، وإنما الشأن في أن تصدع بالحجة، وتأتي بالبينة الواضحة مع أن بعض من يشركك في صناعتك يزعم أنَّ علم النجوم لا يثبت في القياس، ولا يصح عند الاحتجاج، وأصله أوضاع مستحسنة وأمور اصطلاحية.

قال: وإلا فبأي قياس أوجب قسمة البروج الاثنى عشر على الكواكب السبعة، وكيف صار لكل واحد من الكواكب الخمسة بيتان بيتان، وللنيرين بيت بيت، وبأية حجة وجب أن يكون الجدي والدلو بيتي زحل دون سائر البيوت الاثني عشر، ولمَ صار القوس والحوت بيتي المشتري دون غيرهما، وكذا القول في المريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر، وما الذي أوجب من طريق القياس أن يكون شرف الشمس الحمل، وهبوطها في الميزان دون أن يكون الأمر بخلاف ذلك ودون أن يكون شرفها الأسد الذي زعمتم أنه

بيتها، ويكون هبوطها هو الدلو الذي زعمتم أنه بيت...[١]، ويجري القول في سائر الكواكب، وبيوتها، وأشرافها، ومواضع هبوطها، ومثلثاتها، وغير ذلك مما قسّموا لها هذا المجرى، ولِمَ بدأتم بزحل في القسمة، ولِمَ حين بدأتم به أعطيتموه بيتين بيتين دون ثلاثة، ودون واحد.

فإن قلتم: بدأنا بالزحل لأنه أعلى فلكاً من سائر الكواكب، وأوسع دائرة، وأثقل سيراً، وأقوى أمراً.

قلنا: ولِمَ بدأتم به وإن كان كذلك دون غيره ودون أن تبدؤوا بالشمس التي هي عندكم قيمة الكواكب، وبها يستقيم، وبها ترجع وتستولي على النجوم فتحرقها، وتذهب بقواها، وبطلوعها يكون النهار، وبمغيبها يأتي الليل، وهي سراج العالم وضوؤه، وأحرى أنكم بدأتم بها في الإشراق فهلاً بدأتم بها في البيوت.

فإن قال قائل منهم: إنّا نبدأ بالشمس في القسمة لهذه الأمور التي وصفت.

قيل له: ولِمَ بدأتم بها قبل زحل والزحل عندكم بالصفة التي ذكرتموها.

ثم يقال: وأي قياس أوجب قسمة الحدود أعَلَى ما قسمها عليه المصريون، وأهل بابل، أو على ما قسمها بطليموس[٢] مع تفاوت اختلافهما، أو ليسَ بأقل من هذا الخلاف يتحير الناظم في علم النجوم، أو ييأس من إدراك علمها ومن أن يهجم منها على حقيقة؛ لا سيما مع عظم

---

(١) كلمة كأنها تُقرأ: وبالها.

(٢) هناك اثنان بهذا الاسم وكلاهما ينظر في النجوم، الأول: بطليموس مَلَك بعد الإسكندر، والثاني: بطليموس قلاوديوس، صاحب كتاب المجسطي، وألّف في الأقاليم كتابه المعروف بالجغرافيا، ولعله المقصود هنا، وقد عاش في الإسكندرية في القرن الثاني بعد الميلاد. انظر طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (ص ٣٥ـ ٣٧) مع الهوامش.

حاجة المنجمين في أعمالهم إلى معرفة الحدود وتحصيلها، وقد رأيتم أهل مصر لما قسموا الحدود جعلوا للمشتري من أول الحمل ست درجات، وللزهرة ستاً، ولعطارد والمريخ خمساً، وخالفهم بطليموس في ذلك، فجعل للزهرة ثماني درجات، ولعطارد ستاً، وللمشتري ثمانياً، ولزحل خمساً، وللمريخ ثلاثاً، وخالفهم بطليموس في ذلك كله إلاَّ في حد الزهرة، فجعل لعطارد سبع درجات، وللمشتري سبعاً، ولزجل ستاً، وللمريخ درجتين، وعلى هذا النحو خالفهم في سائر الحدود وقسمتها، ثم خالفهم أيضاً في أن قدَّم بعض ما أخّروا، وأخّرَ بعض ما قدّموا، وهذا أشد في الخلاف، وأضرّ بالعمل من زيادة درجة ودرجتين في برج الحدود ونقصان مثل ذلك منها.

ثم اختلفوا من وجه آخر، فبعضهم يقدّم زحل على عطارد بالنهار، ويقدّم عطارداً على زحل بالليل، وغيرهم يعكس ذلك، فالمصريون يعملون على حدودهم ويزعمون أنها أصح، وبطليموس وأصحابه يعملون على حدودهم ويزعمون أنها أصح، ويزعمون كل واحد من هؤلاء أنه يجد صحة ذلك عند الامتحان والاعتبار حساً وضرورة مع هذا الاختلاف الموصوف، ثم ها أنتم أنفسكم قد اختلفتم فيما هو أعظم ضرراً من هذا، وأجلّ أمراً و[هو][١] اختلافكم في تقويم الكواكب بالزيجات المختلفة، فبعضهم يقوّمها بزيج بطليموس، وبعضهم يقوّمها بالسند هند، وبعضهم يقوّمها بالممتحن، وإذا اختلفت هذه الزيجات اختلف الحساب، وإذا اختلف الحساب اختلف مواقع الكواكب في البروج عند الحساب، وإذا اختلفت مواقعها اختلفت دلائلها، وإذا اختلفت دلائلها اختلف القضاء عليها والحكم فيها، وإذا اختلف القضاء عليها والحكم فيها وقع الخطأ والكذب لا محالة، فإذا كانت هذه قضيتكم في أول ما تبلون به من أمرها، فكيف بكم إذا ترقبتم هذه الدرجة إلى الدرجة الثانية والرابعة وما بعدها؟! وإذا مرّ على غلطة مستقدماً، وعلى ما أصّل من الخطأ مفرّعاً ولا سيما إذا حكم في المواليد والأعمار، وفي أمور

---

(١) سقطت من الأصل، ويقتضيها السياق.

الملوك والدول، والحروب، والأمور العظام.

قال: وهذا الذي ذكرناه بعض ما اختلفوا فيه، وهو من عظيم ما يدخل عليهم فيه الخطأ والفساد سوى ما اختلفوا فيه من صورة الفلك، وشكله، وحركته، وصورة كواكبه وأشكالها وحركاتها؛ أبأنفسها تتحرك؟ أم بأفلاكها؟

فبعضهم يزعم أنها تتحرك على الفلك.

وبعضهم يزعم أنَّ كل واحد منها بمنزلة مسمار مثلث في كرة، وأنَّ حركة الكواكب إنما هي بحركة فلكه، وقد قالوا فيها غير ذلك أيضاً.

وبعضهم يزعم أنَّ الأفلاك على هيئة الأطواق وشبهوها بذات الحلق.

وبعضهم يزعم أنها على هيئة الكرة، ويزعم أن شكل الأفلاك كبيرها وصغيرها شكل الفلك الأعظم، وبعضهم يزعم غير ذلك.

وعلى نحو منه اختلافهم في ألوان الكواكب السبعة[١]، وألوان البروج الاثنى عشر، ومقادير أجرامها. واختلافهم في شكل الأرض، وصورتها، وجواهرها.

وليس على شيء مما اختلفوا فيه دليل[٢]؛ سوى أقاويل أسلافهم،

(١) بل الآن عددها في مجموعتنا الشمسية ٩ كواكب، آخرها الكوكب المسمى بـ«بلوتو».

(٢) لا يعتبر المقطع الأخير الذي نقله المصنف من علم التنجيم الممنوع في عصرنا الحاضر، لأن الله سبحانه وتعالى قد سخّر لبني البشر، وخاصة علماء الفلك والأرصاد، اختراعات وأجهزة حديثة دقيقة مبهرة من مناظير فلكية أرضية، بل ومنها ما يسبح في الفضاء، وأجهزة تحليل، بل ومركبات فضائية مأهولة وغير مأهولة، بل تعدى الأمر إلى إطلاق محطات فضائية تكون في مسار حول الأرض بالسنوات الذويلة يرتادها رواد الفضاء لدراسة ما يحيط بالأرض من جيرانها الكواكب الأخرى، وشمسنا، بل والنجوم الأخرى، وكذا المجرات الأخرى، فدرسوا من خلال ذلك كل ما قد أشار إليه الخطيب، وقالوا فيه كلمة الفصل في أكثره بالتحليل والصور، وأصبح من المسلمات، فحددوا مثلاً بأن شكل الأرض ليس تام الكروية، وحددوا مكونات جميع كواكب المجموعة الشمسية، وعدد توابع ـ أي أقمار ـ كل كوكب، وقالوا بعدم صلاح العيش =

وغير ما رسموه في كتبهم من الدعاوى والانتحال للإصابة بغير بيّنة قاطعة،

= في جميعها، ما عدا الخلاف القائم حول كوكب المريخ، وقالوا بإمكان العيش في القمر من خلال الاستفادة من طاقة الشمس والماء المخزون في باطنه، وأنزلوا روّاداً على سطحه في الستينات الميلادية، وإن كانت هناك أقاويل من علماء الغرب أنفسهم ترد ذلك وتكذبه، وإن صح ذلك فإنه صح بالمقابل إنزال مركبات عديدة على سطحه غير مأهولة قامت بدراسته أتم دراسة، حتى وصل الأمر إلى دراسة ما يعرف بالثقوب السوداء، هذا ما جادت به ذاكرتي أبان مطالعتي لكتب الفلك والفضاء قديماً حيث كنت شغوفاً بها، وآلمني كثيراً أن هذه المعلومات وتلك الجهود الكبيرة الجبارة المدعومة مادياً ومعنوياً من نصيب الكفار سواء من الشرق أو الغرب، ففتح الله عليهم وسخّر لهم ما أعانهم في هذا العلم لإخلاصهم التام في هذا المجال في وقت تخلفنا عنهم ورضينا بأن نكون خلف الركب، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، ولو كانت تلك الجهود التي هي في الحقيقة نظرة إلى الكون وخفاياه قد قام بها علماء مسلمين لربطوا ذلك بعظمة الله والتفكر في خلقه، وليس في هذا تنجيم أو تخرص أو رد لقضاء الله. بل هو من دواعي الإيمان والانبهار بعظمته مما أودعه من أسرار في عالم الكون الفسيح، أضف إلى أن الدراسات المكثفة التي يقوم بها علماء الفلك من الشرق والغرب تخضع لخطط استراتيجية تخدم مصالح بلدانهم، فأصبحت دراستهم للكون لعدة أهداف لعل ما يحضرني منها:

- دراسة إمكانية وجود كوكب آخر صالح للعيش غير كوكب الأرض يكون مجلبة لغزوه وتأسيس نواة مدن فضائية ومراكز أبحاث فلكية على سطحه، ويكون مقراً لإطلاق مراكبهم الفضائية منه، ولهم في ذلك خيال واسع إن صح التعبير.
- دراسة وجود معادن نفيسة نافعة في تلك الكواكب تصلح لبناء حضارتهم وما ينفع بلدانهم فيجلبونها بعد دراسة جدوى ذلك إن وجد.
- اكتشاف كائنات عاقلة في هذا الكون الفسيح وكيفية الاتصال بهم والتعامل معهم، ومعرفة حضارتهم، وأذكر في هذا الصدد ما أطلقته أمريكا من مركبة فضائية في الستينات أو السبعينات الميلادية ـ الشك مني ـ وتحمل لوحة ضخمة فيها رسم يبين إطلاق المركبة من كوكب الأرض الثالث في المجموعة الشمسية لأجل الاتصال لا غير، واستخدموا الرسم لأنها اللغة الوحيدة المشتركة الفهم لمن يصادفها من كائنات حية عاقلة في هذا الكون لو حصل هذا.

فأين هذا من التنجيم، ومن بعده فأين نحن مما وصلوا إليه؟!! حسبنا لمن انبهر بهم أن نقل لنا عنهم القبعة، والسيجار، واختلاط الجنسين!!.

غير أني وقفت بعد انتهائي من تحقيق الكتاب على تعليق مفيد يخصنا هنا للعلامة أحمد =

ولا حجة واجبة، فهم في غمرة يعمهون، وفي حيرة يترددون.

قال الشيخ: لو لم يزهد الناس في النظر في علم النجوم إلا ما نرى من كثرة إكداء العاقل، وإنجاح الأحمق، وخيبة الساعي، وظفر القاعد، وما نشاهده دائماً من اتفاقات المنافع والمضار مما لم توردها الخواطر، ولم تشعر بها النفوس، فيتقدم في اجتلاب ما يسر، ودفع ما يضر؛ لأقنع وكفى، وأوجب التسليم للقضاء، والعلم بأن الأمور صادرة عن إرادة الله تعالى ومشيئته، وأنه المدبّر لخلقه، والحكيم في فعله لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

أنا أبو القاسم رضوان بن محمد الدينوري، قال: أنشدني أبو الحاتم محمد بن عبد الواحد الشاهد بالريّ، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن عبد الله الجرجاني الصوفي، قال: أنشدني علي بن يعقوب بدمشق، قال: أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه:

لو كانت الأرزاق مقسومة

بقدر ما يستوجب العبد

= شاكر رحمه الله على كتاب الروضة الندية والتي ضمت مؤخراً في إصدار جديد باسم التعليقات الرضية على الروضة الندية للمحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله وباعتناء الأخ علي بن حسن عبد الحميد، حيث كان تعليقه للرد على الأمير الصنعاني وصدّيق حسن خان حيث لم يفرّقا بين علم النجوم المباح والمحظور، فقال: «يظهر أن صاحب «سبل السلام» ـ ومن بعده الشارح ـ لم يعرفا الفرق بين علم النجوم المنهي عنه ـ وهو دعوى معرفة علم الغيب بحسابها وما إلى ذلك ـ وبين علم الفلك والميقات وتقدير منازل الشمس والقمر والنجوم، وهي من العلوم الصحيحة الثابتة ببراهين قطعية مبنية على الحساب الصحيح، وبه يعلم الكسوف والخسوف، ومواقيت الصلاة والشهور، وغير ذلك.

حقيقة، لم يكن في عصره ﷺ ولا في عصر الخلفاء الراشدين، ولكنا لا نسميه بدعة؛ لأن كل علم مستحدث ينفع الناس يجب تعلّمه على بعض أفراد المسلمين، ليكون قوة لهم ترقى بها الأمة الإسلامية.

وإنما البدعة ما يستحدثه الناس في أنواع العبادات فقط، وما كان في غير العبادات، ولم يخالف قواعد الشريعة؛ فليس بدعة أصلاً، والله الموفق». انتهى كلامه رحمه الله.

لـكـان مـن يـجـدم مـسـتـخـدمـاً
وغـاب نـحـس وبـدا سـعـد
واعـتـذر الـدهـر إلـى أهـلـه
وانـتـعـش الـسـؤدد والـمـجـد
لـكـنـهـا تـجـري عـلـى سـمـتـهـا
كـمـا يـريـد الـواحـد الـفـرد

وأبي القاسم المحسّن بن عمرو بن المعلى، وأظنه من أهل الشام:

لـسـت أدري ولا الـمـنـجـم يـدري
مـا يـريـد الـقـضـاء بـالإنـسـان
غـيـر أنـي أقـول قـول مـحـقّ
وأرى الـغـيـب فـيـه مـثـل الـعـيـان
إنَّ مـن كـان مـحـسـنـاً قـابـلـتـه
بـجـمـيـل عـواقـب الإحـسـان

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأشرف التسليم على سيد الأولين والآخرين محمد وآله وصحبه أجمعين وسائر الأنبياء والمرسلين والملائكة وعباد الله الصالحين وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

الوصول إلى القمر

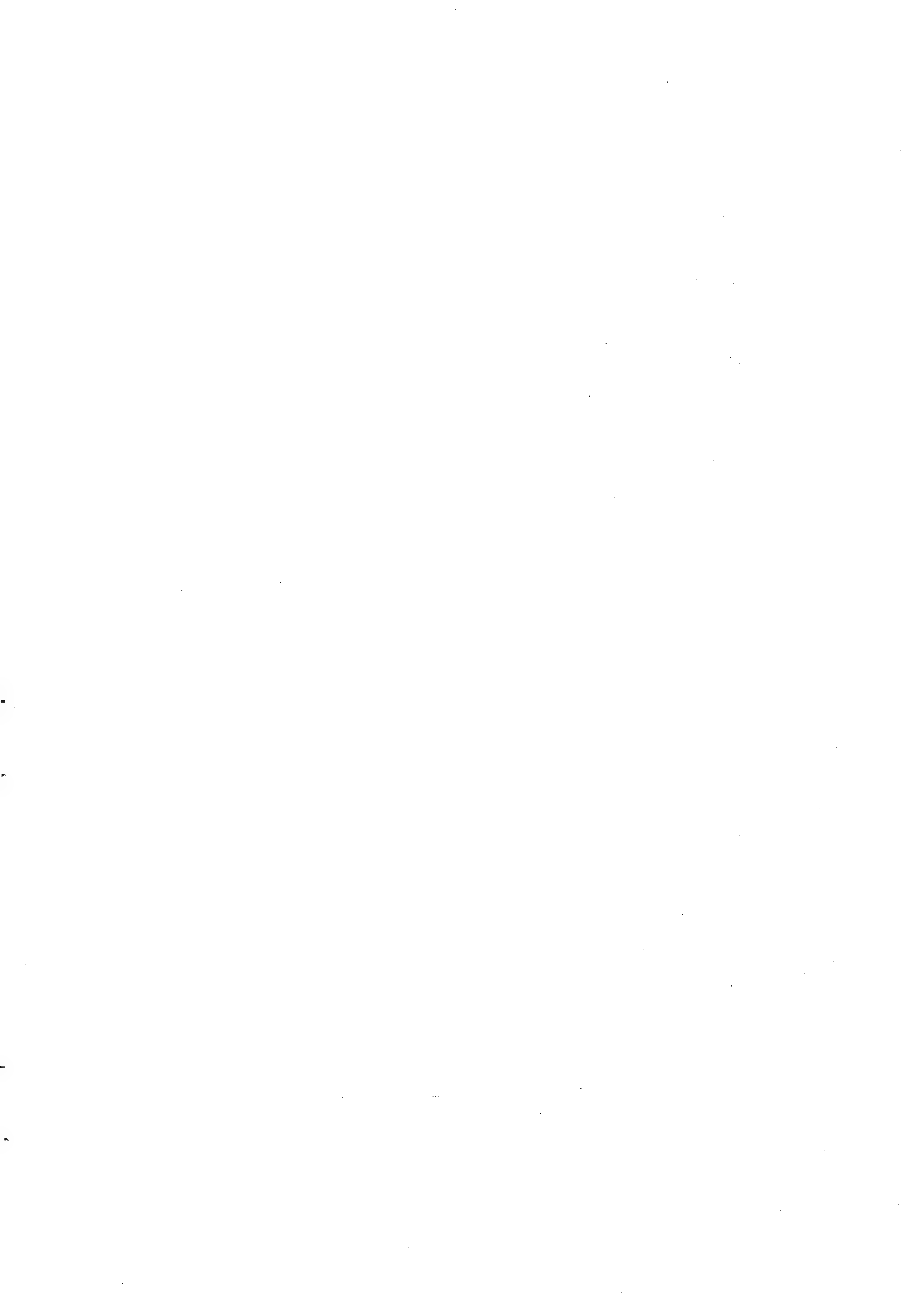
تأليف

الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز

رحمه الله تعالى

تحقيق واعتناء

طارق محمد العمودي



الوصول إلى القمر

لفضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله[1]

ليس في الأدلة النقلية ـ فيما نعلم ـ ما يدل على امتناع الوصول إلى الكواكب[2]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد تكرر السؤال هذه الأيام عما يدعيه بعض روّاد الفضاء من الوصول إلى سطح القمر، وعمّا يحاولونه من الوصول إلى غيره من الكواكب، ولكثرة التساؤل والخوض في ذلك، رأيت أن أكتب كلمة في الموضوع تنير السبيل وترشد إلى الحق في هذا الباب، إن شاء الله.

فأقول: إن الله سبحانه وتعالى حرّم على عباده القول بغير علم وحذّرهم من ذلك في كتابه المبين.

فقال عزّ وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد الخامس (رجب ١٣٨٩هـ)، وكان فضيلة الشيخ نائب رئيس الجامعة.

(٢) ولكنني وقفت على عنوان رسالة باسم «رسالة في الكلام على الكواكب وسكانها، والصعود إليها كعطارد والزهرة والمريخ الخ، وإنها صالحة للسكنى، وإنها مسكونة، ولا يمكن الصعود إليها، وأنَّ ما يدّعيه الأوربيون من إمكان الصعود إليها هو تخريف ودجل» للقاضي المؤرخ المسند عبد الحفيظ الفاسي (ت ١٣٨٣هـ)، ولم أقف على محتواها.

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ [الأعراف: الآية ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)﴾ [الإسراء: الآية ٣٦].

وأخبر سبحانه أن الشيطان يأمر بالقول عليه بغير علم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)﴾ [البقرة: الآيتان ١٦٨، ١٦٩].

وأمر سبحانه عباده المؤمنين بالتثبت في أخبار الفاسقين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾ [الحجرات: الآية ٦].

فالواجب على المسلمين عموماً وعلى طلبة العلم خصوصاً، الحذر من القول على الله بغير علم.

فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول: هذا حلال وهذا حرام، أو هذا جائز وهذا ممتنع، إلاَّ بحجة يحسن الاعتماد عليها وإلا فليسعه ما وسع أهل العلم قبله، وهو الإمساك عن الخوض فيما لا يعلم وأن يقول: الله أعلم، أو لا أدري.

وما أحسن قول الملائكة عليهم السلام لربهم عز وجل: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: الآية ٣٢].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، إذا سألهم الرسول ﷺ عن شيء لا يعلمونه قالوا: «الله ورسوله أعلم». وما ذاك إلاَّ لكمال علمهم وإيمانهم وتعظيمهم لله عز وجل، وبعدهم عن التكلف ومن هذا الباب وجوب التثبت فيما يقوله الكفار والفساق وغيرهم عن الكواكب وخواصها وإمكان الوصول إليها وما يلتحق بذلك.

فالواجب على المسلمين في هذا الباب كغيره من الأبواب، التثبت

وعدم المبادرة بالتصديق أو التكذيب إلا بعد حصول المعلومات الكافية التي يستطيع المسلم أن يعتمد عليها ويطمئن إليها في التصديق أو التكذيب، وهذا هو معنى قوله سبحانه وتعالى في الآية السابقة من سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: الآية ٦] الآية.

والتبيّن هو التثبت حتى توجد معلومات أو قرائن تشهد لخبر الفاسق بما يصدّقه أو يكذّبه.

ولم يقل سبحانه: «إن جاءكم فاسق بنبإ فردوا خبره»، بل قال: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ لأن الفاسق سواء كان كافراً أو مسلماً عاصياً قد يصدق في خبره فوجب التثبت في أمره.

وقد أنكر الله سبحانه على الكفار تكذيبهم بالقرآن بغير علم، فقال جل وعـــلا: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [يونس: الآية ٣٩].

وما أحسن ما قاله العلاّمة ابن القيّم رحمه الله في قصيدته الكافية الشافية:

إن البدار برد شيء لم تحط
علماً به سبب إلى الحرمان

وأعظم من ذلك وأخطر الإقدام على التكفير أو التفسيق بغير حجة يعتمد عليها من كتاب الله أو سنّة رسوله ﷺ ولا شك أن هذا من الجرأة على الله وعلى دينه ومن القول عليه بغير علم وهو خلاف طريقة أهل العلم والإيمان من السلف الصالح رضي الله عنهم وجعلنا من أتباعهم بإحسان.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال لأخيه: كافر، فقد باء بها أحدهما**».

وقال ﷺ: «**من دعا رجلاً بالكفر أو قال: يا عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه**»، أي رجع ما قال. وهذا وعيد شديد يوجب الحذر من التكفير والتفسيق إلاّ عن علم وبصيرة. كما أن ذلك ما ورد في معناه يوجب

الحذر من ورطات اللسان والحرص على حفظه إلا من الخير ـ إذا علم هذا ـ.

فلنرجع إلى موضوع البحث المقصود فنقول: قد تأملنا ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات المشتملة على ذكر الشمس والقمر والكواكب، فلم نجد فيها ما يدل دلالة صريحة على عدم إمكان الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب، وهكذا السنّة المطهّرة لم نجد فيها ما يدل على عدم إمكان ذلك.

وقصارى ما يتعلق به من أنكر ذلك أو كفر من قاله، ما ذكره الله في كتابه الكريم في سورة الحجر، حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: الآيات ١٦-١٨].

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: الآية ٦١].

وقال في سورة الصافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات: الآيات ٦-١٠].

وقال سبحانه في سورة الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [المُلك: الآية ٥].

وقال في سورة نوح: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح: الآيات ١٥-١٧].

وظنوا أن ما ذكره الله في هذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها يدل على أن الكواكب في داخل السماء أو ملصقة بها، فكيف يمكن الوصول إلى سطحها.

وتعلقوا أيضاً بما قاله بعض علماء الفلك من أن القمر في السماء الدنيا وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في السابعة.

وقد نقل ذلك كثير من المفسرين وسكتوا.

والجواب أن يقال: ليس في الآيات المذكورات ما يدل على أن الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب في داخل السماء، ولا أنها ملصقة بها، وإنما تدل الآيات على أن هذه الكواكب في السماء وأنها زينة لها.

ولفظ السماء يُطلق في اللغة العربية على كل ما علا وارتفع، كما في قوله سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: الآيتان ١٦، ١٧].

قال جماعة من المفسرين هاتين الآيتين: إن (في) للظرفية، وأن (السماء) المراد بها العلو. واحتجوا بذلك على أن الله سبحانه وتعالى في جهة العلو فوق العرش وما ذاك إلا لأن إطلاق السماء على العلو أمر معروف في اللغة العربية.

وقال آخرون من أهل التفسير: إن (في) هنا بمعنى على، وأن المراد بـ(السماء) هنا، السماء المبنية كما قال سبحانه: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: الآية ٢] أي على الأرض.

وعلى هذا المعنى يكون المعنى: أن الله سبحانه فوق السماء، فيوافق ذلك بقية الآيات الدالة على أنه سبحانه فوق العرش وأنه استوى عليه استواء يليق بجلاله عز وجل ولا يشابهه فيه استواء خلقه، كما قال عز وجل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: الآية ٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: الآية ٧٤].

ومن أنكر هذا المعنى ووصف الله سبحانه بخلافه فقد خالف الأدلة

الشرعية من الكتاب والسنّة الدالة على علو الله سبحانه واستوائه على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل كما خالف إجماع سلف الأمة.

ومن هذا الباب قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: الآيتان ٢١،٢٢].

ذكر جماعة من المفسرين أن مراد الله سبحانه في هذه الآية: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [البقرة: الآية ٢٢]، أن المراد بـ(السماء) هنا هو السحاب، سمي بذلك لعلوه وارتفاعه فوق الناس.

ومن هذا الباب أيضاً، قوله في سورة الحج: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: الآية ١٥] الآية.

قال المفسرون: معناه: فليمدد بسبب إلى ما فوقه من سقف ونحوه، فسماه سماء لعلّوه بالنسبة إلى من تحته.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٢٤] الآية.

فقوله هنا: في (السماء) أي في العلّو.

وقال صاحب القاموس: «سما سمواً ارتفع وبه أعلاه كأسماه»، إلى أن قال: «والسماء معروفة وتذكر وسقف كل شيء» انتهى.

والأدلة في هذا الباب في كلام الله وكلام رسوله محمد ﷺ وكلام المفسرين وأئمة اللغة على إطلاق لفظ السماء على الشيء المرتفع كثيرة. إذا عرف هذا فيحتمل أن يكون معنى الآيات: أن الله سبحانه جعل هذه الكواكب في مدار بين السماء الدنيا والأرض وسماه سماء لعلوه وليس فيما علمنا من الأدلة ما يمنع ذلك. وقد ذكر الله سبحانه أن الشمس والقمر يجريان في فلك في آيتين من كتابه الكريم، وهما قوله عز وجل في سورة الأنبياء: ﴿وَهُوَ الَّذِي

خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٣٣] .

وقوله سبحانه في سورة يس: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: الآية ٤٠] .

ولو كانا ملصقين بالسماء لم يوصفا بالسبح، لأن السبح هو الجري في الماء ونحوه.

وقد ذكر ابن جرير رحمه الله في تفسيره المشهور: أن الفلك في لغة العرب هو الشيء الدائر.

وذكر في معناه عن السلف عدّة أقوال، ثم قال ما نصه: «والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: الآية ٤٠] .

ذكر عن الحسن: كطاحونة الرحا وجائز أن يكون موجاً مكفوفاً، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر فجمعه أفلاك» .

ونقل رحمه الله عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم أنه قال ما نصه: «الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر»، وقرأ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفُرقان: الآية ٦١] . وقال: «تلك البروج بين السماء والأرض» انتهى.

وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير كلام ابن زيد هذا وأنكره ولا وجه لإنكاره عند التأمل لعدم الدليل على نكارته.

وقال النسفي في تفسيره ما نصه: «والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم» انتهى.

وقال الألوسي في تفسيره «روح المعاني» ما نصه: «وقال أكثر المفسرين: هو موج مكفوف تحت السماء يجري فيه الشمس والقمر» انتهى.

وعلى هذا القول في تفسير الفلك والآيات المتقدمة آنفاً، لا يبقى

إشكال في أن الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب لا يخالف الأدلة السمعية ولا يلزم منه قدح فيما دل عليه القرآن من كون الشمس والقمر في السماء ومن زعم أن المراد بالأفلاك السماوات المبنية فليس لقوله حجة يعتمد عليها فيما نعلم، بل ظاهر الأدلة النقلية وغيرها يدل على أن السماوات السبع وغير الأفلاك يحتمل أنه أراد سبحانه بالسماء في الآيات المتقدمة، السماء الدنيا، كما هو ظاهر في آية الحجر، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحجر: الآية ١٦] .

ولم يرد سبحانه أن البروج في داخلها وإنما أراد سبحانه بقربها، وتنسب إليها، كما يقال في لغة العرب: فلان مقيم في المدينة أو في مكة، وإنما هو في ضواحيها وما حولها.

وأما وصفه سبحانه للكواكب بأنها زينة للسماء فلا يلزم منه أن تكون ملصقة بها ولا دليل على ذلك، بل يصح أن تسمى زينة لها وإن كانت منفصلة عنها وبينها وبينها فضاء كما يزين الإنسان سقفه بالقماش والثريات الكهربائية ونحو ذلك من غير ضرورة إلى إلصاق ذلك به، ومع ذلك يقال في اللغة العربية: فلان زيّن سقف بيته وإن كان بين الزينة والسقف فضاء.

وأما قوله سبحانه في سورة نوح: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: الآيتان ١٥، ١٦] .

فليس في الأدلة ما يدل على أن معناه أن الشمس والقمر في داخل السماوات، وإنما معناه عند الأكثر: أن نورها في السماوات لا أجرامهما، فأجرامهما خارج السماوات ونورهما في السماوات والأرض.

وقد روى ابن جرير رحمه الله عند هذه الآية عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ما يدل على هذا المعنى حيث قال في تفسيره: «حدثنا عبد الأعلى قال: حدثنا ابن ثور عن عمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: «إن الشمس والقمر وجوههما قبل السماوات وأقفيتهما قبل الأرض» انتهى.

وفي سنده انقطاع، لأن قتادة لم يدرك عبد الله بن عمرو، ولعل هذا إن صح عنه مما تلقاه عن بني إسرائيل.

وظاهر الآية يدل على أن نورهما في السماوات لا أجرامهما، وأما كون وجوههما إلى السماوات وأقفيتهما إلى الأرض فموضع نظر. والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك.

وأما قول من قال من أهل التفسير: أن ذلك من باب إطلاق الكل على البعض لأن القمر في السماء الدنيا والشمس في الرابعة، كما يقال: رأيت بني تميم وإنما رأيت بعضهم، فليس بجيد ولا دليل عليه وليس هناك حجة يعتمد عليها، فيما نعلم، تدل على أن القمر في السماء الدنيا والشمس في الرابعة.

وأما قول من قال ذلك من علماء الفلك فليس بحجة يعتمد عليها لأن أقوالهم غالباً مبنية على التخمين والظن لا على قواعد شرعية وأسس قطعية، فيجب التنبه لذلك.

ويدل على هذا المعنى ما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: الآية ١٥] الآية.

حيث قال ما نصه: «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: الآية ١٥] » أي: واحدة فوق واحدة، وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات، فإن الكواكب السبعة السيّارة يكسف بعضها بعضاً فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في السابعة، وأما بقية الكواكب، وهي الثوابت، ففي فلك ثامن (فلك الثوابت) والمتشرعون منهم يقولون: هو الكرسي، والفلك التاسع هو الأطلس، والأثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك، وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهي من المشرق إلى المغرب وسائر الأفلاك عكسه

من المشرق إلى المغرب، ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فإنها تسير من المغرب إلى المشرق وكل يقطع بحسبه، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وذلك بحسب اتساع أفلاكها، وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة. هذا ملخص ما يقولون في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها» انتهى.

فقول الحافظ رحمه الله هنا على اختلاف بينهم... الخ، يدل على أن علماء الفلك غير متفقين على ما نقله عنهم آنفاً من كون القمر في السماء الدنيا، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة... الخ، وغير ذلك مما نقله عنهم.

ولو كانت لديهم أدلة قطعية على ما ذكروا لم يختلفوا، ولو فرضنا أنهم اتفقوا على ما ذكر فاتفاقهم ليس بحجة لأنه غير معصوم وإنما الإجماع المعصوم هو إجماع علماء الإسلام الذين توفرت فيهم شروط الاجتهاد لقول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي علّة الحق منصورة**» الحديث.

فإذا اجتمع علماء الإسلام على حكم اجتماعاً قطعياً لا سكوتياً، فإنهم بلا شك على حق، لأن الطائفة المنصورة منهم، وقد أخبر النبي ﷺ أنها لا تزال على الحق حتى يأتي أمر الله، وظاهر الأدلة السبعة، وكلام الكثير من أهل العلم أو الأكثر، كما حكاه النسفي والألوسي، أن جميع الكواكب، ومنها الشمس والقمر، تحت السماوات وليست في داخل شيء منها.

وبذلك يُعلم أنه لا مانع من أن يكون هناك فضاء بين الكواكب والسماء الدنيا يمكن أن تسير فيه المركبات الفضائية ويمكن أن تنزل على سطح القمر أو غيره من الكواكب، ولا يجوز أن يقال بامتناع ذلك إلا بدليل شرعي صريح يجب المصير إليه كما أنه لا يجوز أن يصدق من قال إنه وصل إلى سطح القمر أو غيره من الكواكب إلا بأدلة علمية تدل على صدقه.

ولا شك أن الناس بالنسبة إلى معلوماتهم عن الفضاء ورواد الفضاء

يتفاوتون، فمن كان لديهم معلومات قد اقتنع بها بواسطة المراصد أو غيرها، دلّته على صحة ما ادعاه روّاد الفضاء الأمريكيون من وصولهم إلى سطح القمر، فهو معذور في تصديقه، ومن لم يتوفر لديه المعلومات الدالة على ذلك فالواجب عليه التوقف والتثبت حتى يثبت لديه ما يقضي التصديق أو التكذيب عملاً بالأدلة السالف ذكرها.

ومما يدل على إمكان الصعود إلى الكواكب، قول الله سبحانه في سورة الجن فيما حكاه عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: الآيتان ٨، ٩].

فإذا كان الجن قد أمكنهم الصعود إلى السماء حتى لمسوها وقعدوا منها مقاعد، فكيف يستحيل ذلك على الإنس في هذا العصر الذي تطور فيه العلم والاختراع حتى وصل إلى حد لا يخطر ببال أحد من الناس حتى مخترعيه قبل أن يخترعوه.

أما السماوات المبنية فهي محفوظة بأبوابها وحرسها فلن يدخلها شياطين الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: الآية ١٧].

وثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ لما عرج به إلى السماء مع جبريل لم يدخل السماء الدنيا وما بعدها إلا بإذن، فغيره من الخلق من باب أولى.

وأما قوله سبحانه في سورة الرحمٰن: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ٣٣]، فليست واضحة الدلالة على إمكان الصعود إلى الكواكب لأن ظاهرها وما قبلها وما بعدها يدل على أن الله سبحانه أراد بذلك بيان عجز الثقلين عن النفوذ من أقطار السماوات والأرض.

وقد ذكر الإمام ابن جرير رحمه الله وغيره من علماء التفسير في تفسير هذه الآية الكريمة أقوالاً أحسنها قولان.

أحدهما: أن المراد بذلك يوم القيامة، وأن الله سبحانه أخبر فيها عن عجز الثقلين يوم القيامة عن الفرار من أهوالها. وقد قدم ابن جرير هذا القول وذكر في الآية التي بعدها ما يدل على اختياره له.

والقول الثاني: أن المراد بذلك بيان عجز الثقلين عن الهروب من الموت لأنه لا سلطان لهم يمكنهم من الهروب من الموت كما أنه لا سلطان لهم على الهروب من أهوال يوم القيامة.

وعلى هذين القولين يكون المراد بالسلطان القوة. ومما ذكرناه يتضح أنه لا حجة في الآية لمن قال إنها تدل على إمكان الصعود إلى الكواكب، وأن المراد بالسلطان العلم.

ويتضح أيضاً أن أقرب الأقوال فيها من قال: إن المراد بذلك يوم القيامة، أخبر الله سبحانه فيها أنه يقول ذلك للجن والإنس في ذلك اليوم تعجيزاً لهم وإخباراً أنهم في قبضة الله سبحانه وليس لهم مفر مما أراد بهم، ولهذا قال بعدها: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٣٥]. فالمعنى، والله أعلم، أنكما لو حاولتما الفرار في ذلك اليوم لأرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران منهما، أما في الدنيا فلا يمكن أحداً النفوذ من أقطار السماوات المبنية لأنها محفوظة بحرسها وأبوابها كما تقدم ذكر ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: الآية ٣].

أين القمر

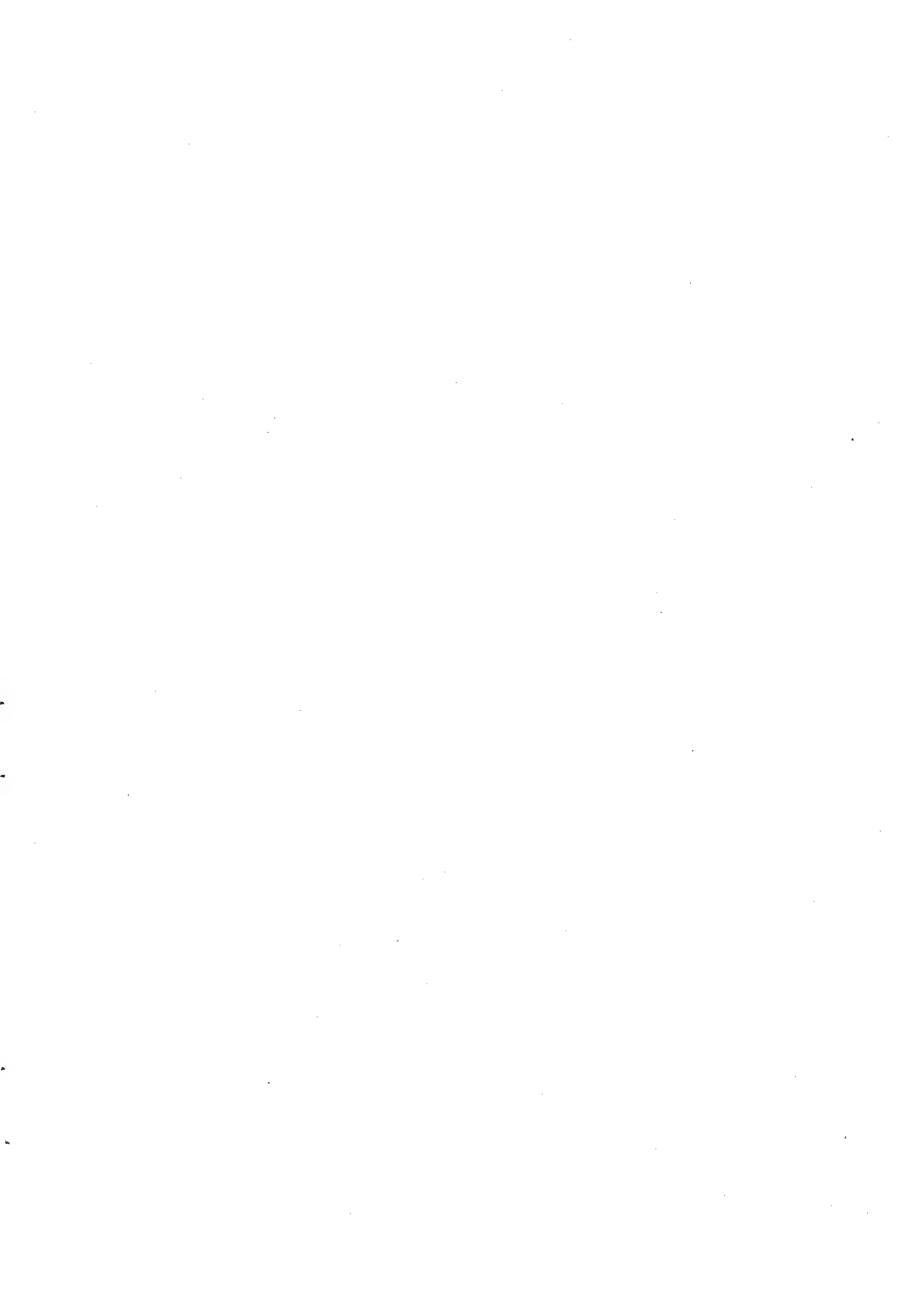
تأليف

الشيخ المحدث حماد بن محمد الأنصاري

رحمه الله تعالى

تحقيق واعتناء

طارق محمد العمودي



أين القمر؟

للشيخ المحدّث حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله[1]

أقوال السلف تومىء إلى أن القمر
وغيره من الكواكب في فلك دون السماء

الحمد لله وكفى، وصلى الله على المصطفى، وبعد:

فعلى إثر الحادثة التي تناقلتها وكالات الأنباء العالمية وبلغت أخبارها أنحاء العالم، وهي ما أُشيع عن وصول الإنسان إلى سطح القمر، تساءل كثير من الناس عن القمر، هل هو مغروز في السماء المبنية أو هو دون السماء؟.

وانقسم الناس في ذلك إلى مصدّق بهذا النبأ تصديقاً كاملاً، وإلى مكذِّب به. وربما تجاوز في ذلك إلى تفسيق القائلين بالصعود أو تكفيرهم بينما وقف فريق ثالث من أخبار هذه الحادثة موقف التثبت والاستبانة، حيث إنه لا يمكنه إعطاء معلومات يقينية على الرحلة إلى القمر ولم يظهر لهم مقتضى النصوص الشرعية في ذلك لوجود ظواهر ألفاظ آيات يحسبونها تقتضي استحالة النزول على القمر، ولو وجد ما ذكر توقف هؤلاء عن التصديق والتكذيب.

هذا، وقد قام فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية في هذا المجال بجهد مشكور أبان فضيلته أنه لا يعلم نصاً صريحاً من كتاب الله ولا من سنّة

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد السادس (شوال ١٣٨٩هـ)، وكان الشيخ في ذلك الوقت مدرساً بكلية الشريعة بالجامعة.

رسوله ﷺ يمنع من وصول الإنسان إلى القمر، وما أحب أن أضيف زيادة إلى ما ذكره فضيلته فقد وفّى البحث حقه، غير أني سبق أن جمعت في هذا الموضوع بعض النقول عن أئمة الإسلام وعلماء التفسير بمعالجة الموضوع من زاوية غير التي تناولها بالبحث والتحقيق فضيلته، وذلك أن بحثي في خصوص ما قرره علماء التفسير على بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالأفلاك مما يبين أن القمر والشمس وغيرهما من الكواكب كلٌ يسبحون دون السماء المبنية، وقد تناوله علماء الإسلام بالبحث، فأبدوا فيه وأعادوا مما يدل على اطلاعهم وعمق تفكيرهم، وبعد نظرهم، وأنهم حينما يدرسون النصوص القرآنية يدرسونها ككل، ويحاولون التوفيق بين نصوصها، وأنهم بذلك قد خلّفوا لنا ثروة فكرية وعلمية لا يمكن تقديرها، وأن التقصير والإهمال وعدم متابعة البحث كان ممن جاء بعدهم، وهذا هو ما دفعني إلى نشر هذه النقول ليشاركني في العلم بها إخواني من القرّاء الذين يعتزون بتراثهم الإسلامي، فأقول مستعيناً بالله فإنه خير مستعان به:

إن الآيات التي تعرّضت للقمر وغيره من الكواكب كثيرة، أذكر منها خمس آيات، وأقرنها بما روي عن السلف في تفسيرها، مع ملاحظة أن مثل هذا التفسير ليس للرأي فيه مجال.

فالآية الأولى، من سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٣٣].

ذكر ابن جرير في تفسيره الجليل بسنده إلى ابن زيد أنه قال: في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٣]: «أي الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر». وقرأ ابن زيد قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: الآية ٦١] وقال: تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٣] قال ابن زيد: فيما بين السماء والأرض النجوم والشمس والقمر».

وقال القرطبي (ج ١٥ـ ص ٣٣): قال الحسن البصري: «الشمس

والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملصقة، ولو كانت ملصقة ما جرت».

قال القرطبي أيضاً: «والأصح أن السيارة تجري في الفلك وهي سبعة أفلاك دون السماوات المطبقة التي هي مجال الملائكة وأسباب الملكوت، فالقمر في الفلك الأول ثم عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل والثامن فلك البروج والتاسع الفلك الأعظم» (ج ١١ ص ٢٨٦).

وقال البغوي في تفسيره المعروف عند الآية المتقدمة الذكر آنفاً ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٣] : «وقال آخرون ـ يعني من علماء التفسير ـ الفلك: موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم».

وقال السيوطي في الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور: «أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره، وأبو الشيخ عن حسان بن عطية في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٣] قال: «الشمس والقمر والنجوم مسخرة في فلك بين السماء والأرض».

وأما آية سورة يس: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: الآية ٤٠] فقد ذكر ابن كثير في تفسيره المشهور أن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم قال: «فيها يسبحون في فلك بين السماء والأرض».

وقال ابن كثير ـ بعد ذكره هذا الأثر ـ: «ورواه ابن أبي حاتم وهو غريب جداً بل منكر».

قلت: وليس بغريب ولا منكر لأن هذا الأثر روي عن عبد الرحمٰن بن زيد كما ذكره ابن كثير، وروي أيضاً عن حسان بن عطية كما مر عند ابن أبي حاتم فانتفت الغرابة والنكرة، وأضف إلى هذا أن ابن جرير أسند هذا التفسير عن ابن زيد حيث قال: حدثني يونس قال: أخبرني ابن وهب قال: قال زيد، فذكره.

وأما آية سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: الآية

٦١] الآية، فقد تقدم قريباً عند آية سورة الأنبياء أن ابن زهير قرأها وقال: «تلك البروج بين السماء والأرض وليس في الأرض».

وأما آية سورة نوح: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: الآيتان ١٥، ١٦] الآية، فقد قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للزمخشري: أخرج ابن مردويه في تفسيره من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قال: «إن الشمس والقمر ووجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الأرض».

قلت: أخرجه الحاكم في مستدركه قال: أخبرنا محمد بن صالح بن هانيء حدثنا الحسين بن الفضل، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمة عن يونس عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: الآية ١٦]، قال ابن عباس: «وجهه إلى العرش وقفاه إلى الأرض».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

ورمّز له الذهبي في تلخيصه (م) يعني أنه على شرط مسلم.

وقال السيوطي في الدر عند هذه الآية: أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: الآية ١٦] قال ابن عباس رضي الله عنه: «وجهه يضيء السماوات وظهره يضيء الأرض».

وقال السيوطي أيضاً: «أخرج عبد بن حميد عن شهر بن حوشب أنه قال: اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الأحبار وكان بينهما بعض العتب، فتعاتبا فذهب ذلك، فقال عبد الله بن عمرو لكعب الأحبار: «سلني عما شئت ولا تسألني عن شيء إلا أخبرتك بتصديق قولي من القرآن»، فقال له كعب الأحبار: «أرأيت ضوء الشمس والقمر أهو في السماوات السبع كما في الأرض؟»، قال: «نعم، قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ

سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦﴾ [نوح: الآيتان ١٥،١٦] الآية.

وأخرج ابن جرير وعبد الرزاق وعبد حميد وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة، واللفظ لابن جرير، قال: حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: «إن الشمس والقمر وجوههما قبل السماء وأقفيتهما قبل الأرض وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦﴾ [نوح: الآية ١٦].

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني محمد بن بشار قال: ثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة في قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ [نوح: الآية ١٦] الآية، قال قتادة: ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: «إن ضوء الشمس والقمر في السماء اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦﴾ [نوح: الآية ١٦] الآية.

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: قال عبد الله بن عمر في الآية المذكورة: «إن الشمس والقمر وجوههما قبل السماء وأقفيتهما قبل الأرض».

وروى ابن جرير من طريق هشام الدستوائي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص هذا التفسير كما مر ـ وهي أعني الواسطة ـ شهر بن حوشب، فانتفى التدليس عن رواية قتادة فصار الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص متصل السند ولم يبق فيه إلا شهر بن حوشب.

قال صاحب الخلاصة: «وثقه يحيى بن معين والإمام أحمد».

وقال يعقوب بن سفيان: «شهر وإن قال عنه ابن عون تركوه فهو ثقة».

وقال الحافظ في التقريب: «صدوق كثير الإرسال والأوهام».

قلت: قال الذهبي: «قد ذهب إلى الاحتجاج به جماعة».

قال حرب الكرماني عن أحمد: «ما أحسن حديثه ووثقه».

قال أبو عيسى الترمذي: «قال محمد ـ وهو الإمام البخاري ـ شهر حسن الحديث وقوي أمره».

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: «ثقة شامي».

وروى عباس الدوري عن ابن معين: «ثبت».

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ صاحب كتاب العظمة، كما في الدر المنثور عن عطاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: الآية ١٦] قال عطاء: «إن القمر يضيء لأهل السماوات كما يضيء لأهل الأرض».

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: الآية ١٦] قال: «وجوههما في السماء وظهورهما إليكم»، ويعني بقوله في السماء: أي في العلو. فالسماء تطلق على معاني كثيرة منها السحاب كقوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفُرقان: الآية ٤٨]، يعني من السحاب، ومنها مجرد العلو، كقوله تعالى: ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٤] أي في العلو، ومنها السقف كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحَج: الآية ١٥] الآية، أي إلى سقف البيت. ومنها المطر كقول الشاعر:

إذا نـزل الـسـمـاء بـأرض قـوم
رعـيـنـاه وإن كـانـوا غـضـابـا

يعني: إذا نزل المطر. وسمي المطر بالسماء لأنه يأتي من علو، ومنها السماء المبنية كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ [ق: الآية ٦].

وأخرج ابن المنذر كما في الدر المنثور عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: الآية ١٦].

قال عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما: «يضيء نور القمر فيهن

كلهن كما لو كان سبع زجاجات أسفل منها شهاب أضاءت كلهن فكذلك نور القمر في السماوات كلهن لصفائهن».

وأما آية سورة يونس: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يُونس: الآية ٥] فقد أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال: «وجوههما إلى السماء وأقفيتهما إلى الأرض».

قال القرطبي في تفسيره: «إن وجه القمر إلى السماء وإذا كان كذلك فنوره في السماوات».

وقال: «معنى (نوراً) أي لأهل الأرض ولأهل السماء».

وقال أيضاً (ج ١١ ص ٢٨): «قال ابن زيد: الأفلاك مجاري النجوم والشمس والقمر وهي بين السماء والأرض».

وقال القشيري: «إن الشمس وجهها في السماوات وقفاها في الأرض».

قال الآلوسي في روح المعاني (ج ١٧ ص ٣٧) عند آية سورة الأنبياء التي تقدمت في أول البحث، قال: «قال أكثر المفسرين: الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر». وكذلك قال أبو حيان في البحر المحيط (ج ٦ ص ٣١٠).

وقال النسفي في تفسيره (ج ٣ ص ٧٨) عند آية سورة الأنبياء ما نصه: «والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر».

فهؤلاء ثلاثة من أئمة الصحابة في مقدمتهم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، تومىء النقول المسند عنهم في تفسير الآيات المتقدمة إلى أن القمر والشمس وسائر الكواكب دون السماء المبنية في فلك يسبحون وليس مغروزة في السماء المبنية بل الذي في داخلها نورها لا جرمها.

كما أن سبعة من أئمة التابعين وتابعيهم: الحسن البصري، وأبو العالية، والرياحي، وعكرمة، وقتادة، وعطاء، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم،

وحسان بن عطية - تصرّح تفاسيرهم للآيات السابقة بأن جميع الكواكب بما فيها القمر والشمس كل في فلك دون السماء المبنية يجرون، وقد نقل عنهم هذه الروايات بأسانيدها العلماء من أئمة التفسير منهم: أبو جعفر بن جرير في تفسيره، وأبو القاسم البغوي، وابن كثير الدمشقي، والقرطبي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والسيوطي في الدر، وأبو حيان في البحر المحيط، والنسفي والألوسي وغيرهم ممن يطول البحث بذكرهم.

هذا وفي قول عكرمة وعطاء في قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: الآية ١٦] في قولهما: «يضيء نور القمر فيهن كلهن»، دليل صريح على أن (فيهن) متعلق بقوله عز وجل (نوراً) لا بـ (جعل) كما ظنه بعض المعاصرين، على أن تقديم المجرور على عامله في اللغة العربية وفي القرآن الكريم والسنة النبوية، من أمثلته قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٧] حيث تقدمت (فيها) على عاملها (خالدون) والتقدير، والله أعلم بأسرار كتابه: هم خالدون فيها، هكذا ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: الآية ١٦] أي وجعل القمر نوراً فيهن، ولو استقصينا ما قيل في هذا الموضوع لطال بنا الكلام، ولكن نكتفي بهذا القدر وفيه الكفاية.

وننتقل إلى إمكان الصعود إلى القمر وغيره من الكواكب، فنقول: هذه المسألة قد وفّاها حقها من البحث فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية، وبيّنها بياناً شافياً كافياً، إلا أنه لا نصدق كل من ادعى الوصول إلى القمر حيث يثبت ذلك بخبر ثقات عدول، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحُجرَات: الآية ٦] الآية.

هذا كل ما أستطيع أن أدلي به في مثل هذه الحادثة الغريبة في بابها، وأقول كما قال الناظم:

وإذا لم تر الهلال فسلم ... لأناس رأوه بالأبصار

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

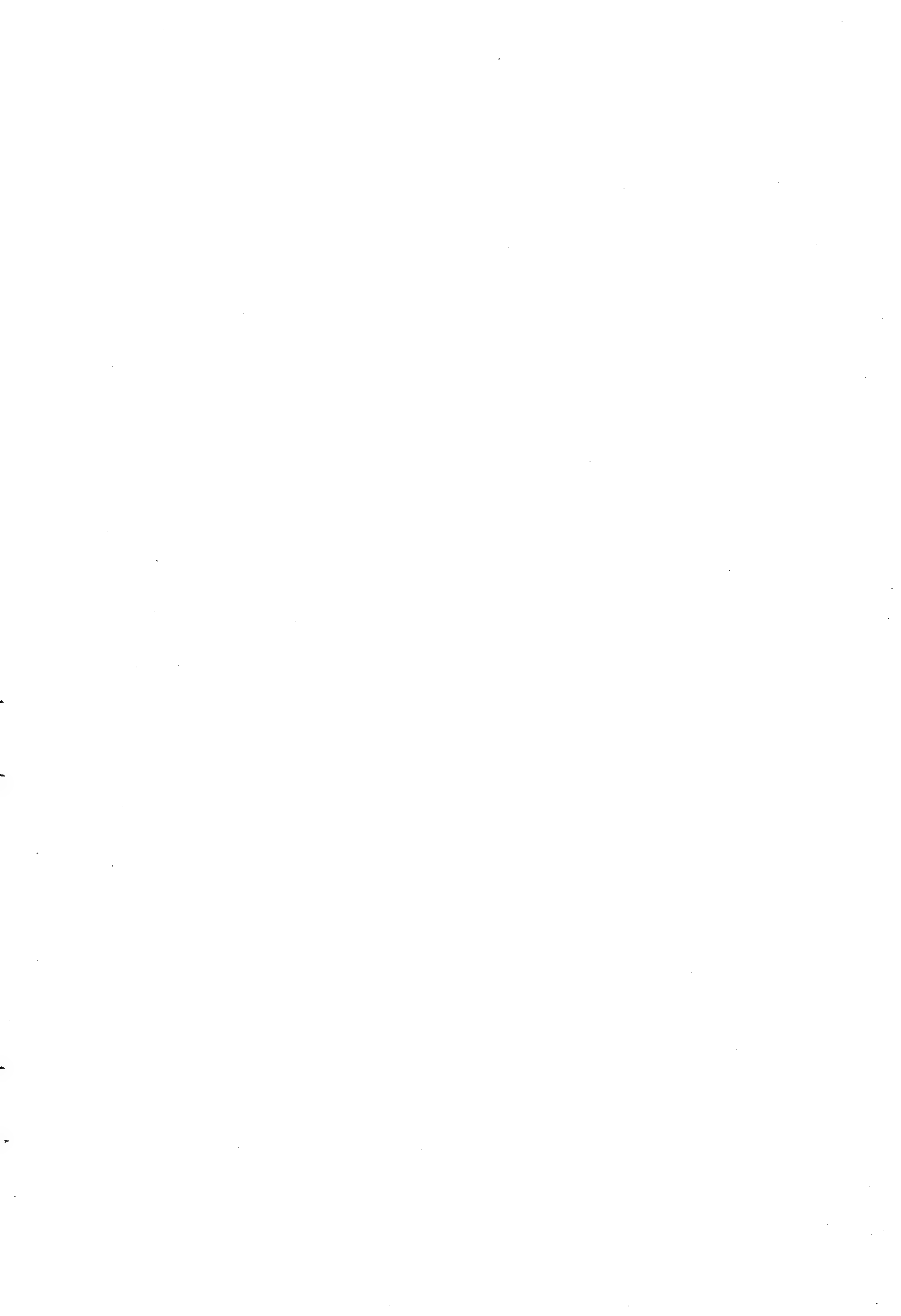
الفهارس العامة

■ ملحوظة: استغنيت عن ذكر فهرس المصادر والمراجع لكونها مبثوثة في الحواشي، ولعدم التطويل.

(١) أدخلت في ضمنه حديث قدسي وارد في كتابنا هذا، وعليه جرى التنبيه.

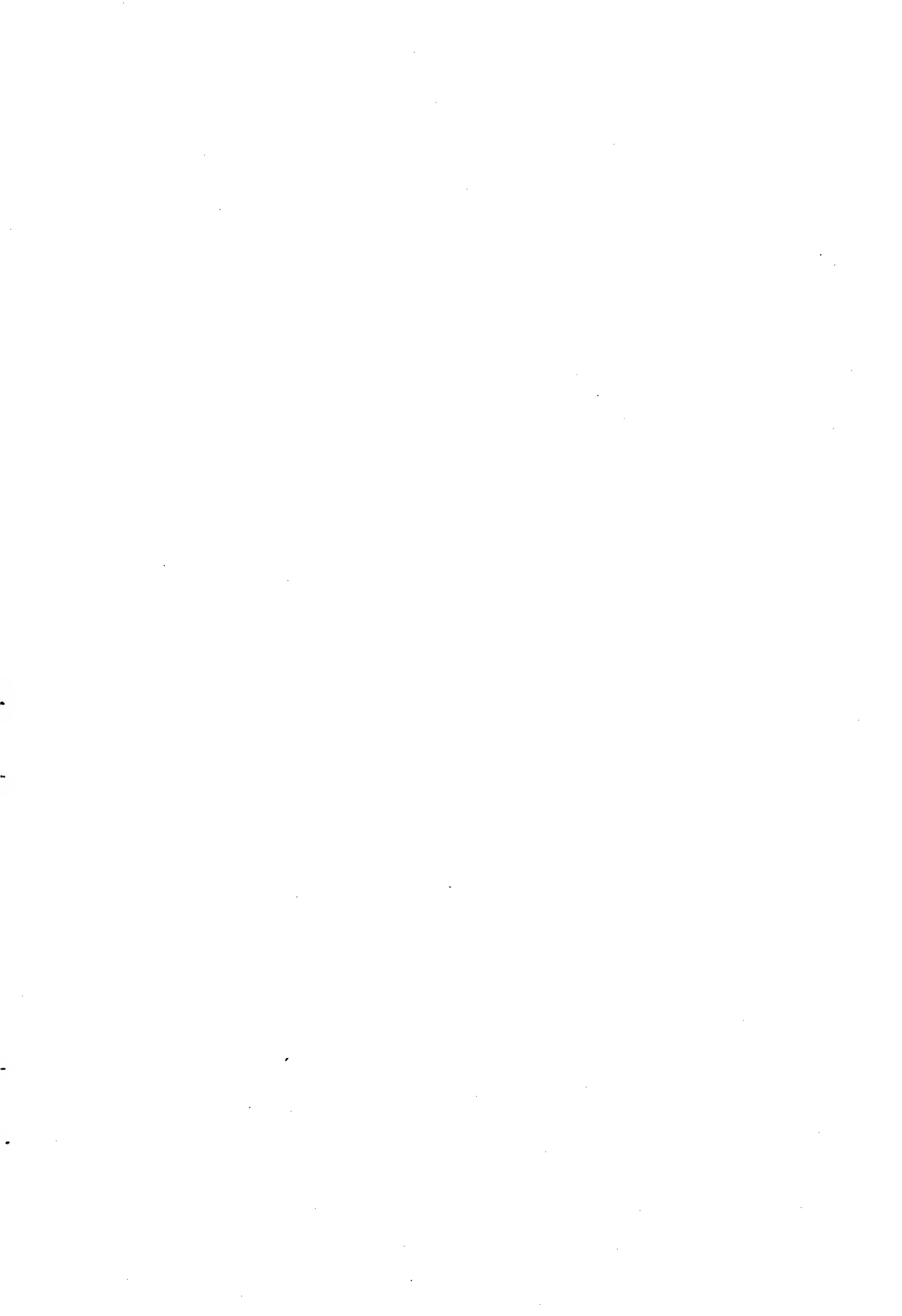


فهرس الآيات القرآنية

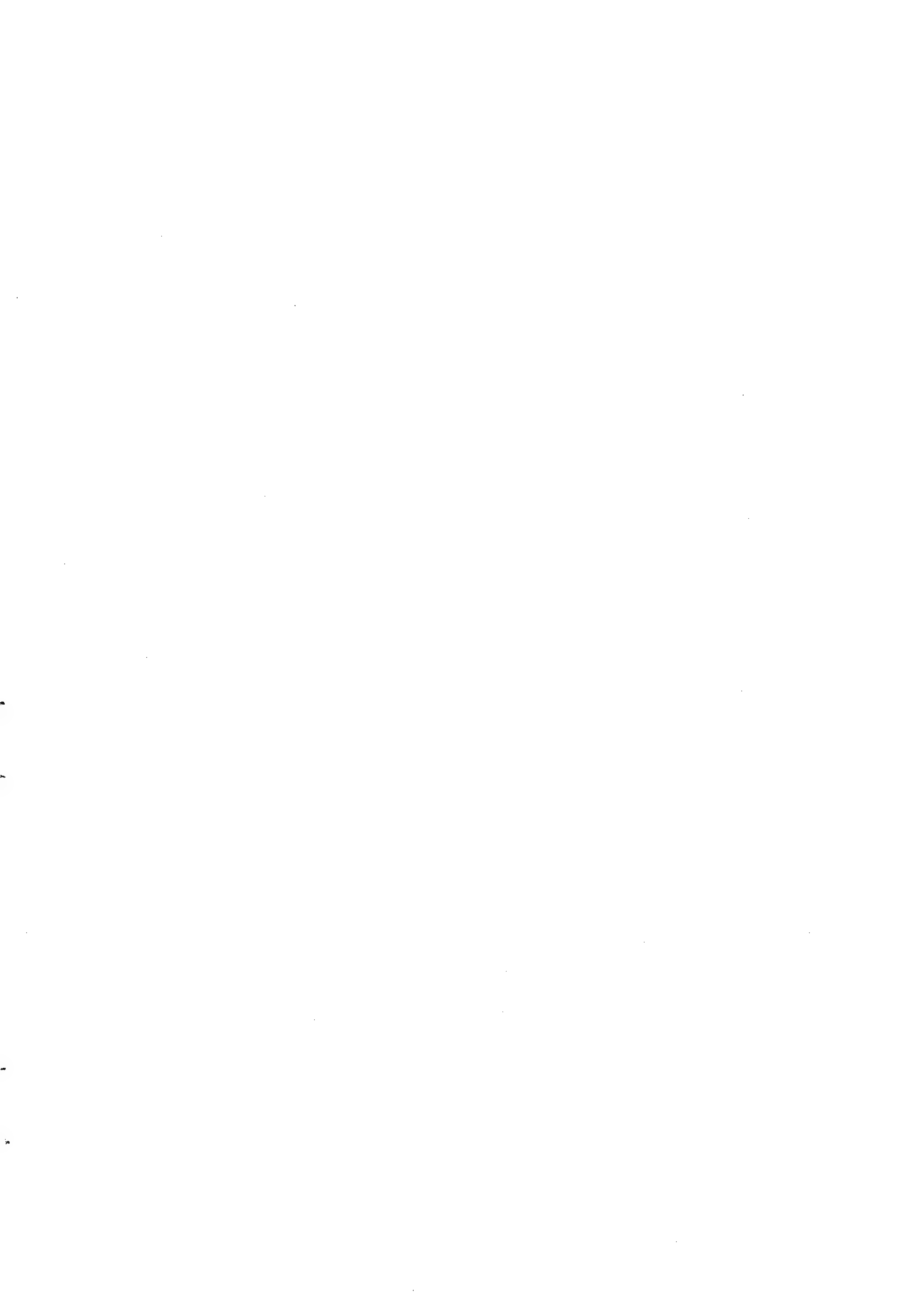


فهرس الأحاديث المرفوعة

طرف النص	الراوي	الصفحة
ـ أحبُّ عباد الله إلى الله رعاء الشمس والقمر	أبو هريرة	٢٢
ـ أخاف على أمتي تكذيباً بالقدر وصدقاً بالنجوم	أنس بن مالك	٣٧، ٤٠، ٤١
ـ أخاف على أمتي خصلتين . . .	أنس بن مالك	٣٧ـ٣٨
ـ إذا أنشأت السماء بحرية ثم تشاءمت	عائشة	٣٤
ـ إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذُكر . . .	عبد الله بن مسعود	٤٩
ـ إذا طلع النجم ارتفعت العاهة	أبو هريرة	٢٦
ـ استعيذي بالله من شر هذا ، فإنه الغاسق إذا وقب . . .	عائشة	٤٢
ـ أما بعد فإنَّ ناساً يزعمون إنَّ كسوف الشمس . . .	سمرة بن جندب	٤٢
ـ إنَّ خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم	عبد الله بن أبي أوفى	٢٢، ٢٣
ـ إن الشمس لم تحبس على أحد إلا على يوشع بن نون	أبو هريرة	٦٢
ـ تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحاكم ومن النجوم ما تهتدون	عبد الله بن عمر	٢٣



فهرس الآثار الموقوفة والمقطوعة وغيرهما



فهرس الأشعار

من آثار المحقق

أ ـ التحقيق:

ـ كتاب: نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مطبوع، بدار الهجرة سنة ١٤١٥هـ.

ـ كتاب: المطر والبرق والرعد والريح، لابن أبي الدنيا، وهو مطبوع بدار ابن الجوزي سنة ١٤١٨هـ.

ـ كتاب: ذكر من اسمه شعبة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، مطبوع بمكتبة الغرباء بالمدينة سنة ١٤١٨هـ.

ـ كتاب: القبور، لابن أبي الدنيا، مطبوع بمكتبة الغرباء سنة ١٤٢٠هـ.

ـ كتاب: رسالة في علم النجوم هل الشروع فيه محمود أم مذموم؟، للحافظ الخطيب البغدادي، مطبوع بدار الكتب العلمية، بيروت.

ـ كتاب: طرق حديث النبي ﷺ حيث كان في الحائط وما في معناه، للحافظ الضياء المقدسي، مطبوع بدار الكتب العلمية، بيروت.

ب ـ الجمع والتأليف

ـ كعب الأحبار هل له ضلع في حادثة مقتل أمير المؤمنين عمر الفاروق، نشر بمجلة بحوث مركز المدينة المنورة، العدد السادس.

ـ معجم المصنفات الواردة في فتح المغيث للسخاوي، مخطوط.

ـ جمع أقوال الحافظ ابن حجر في الرجال من خلال كتبه المطبوعة في غير تراجم الرجال، مخطوط.

ـ إرشاد الطارق فيمن اسمه طارق، (بقي ترتيبه وتنظيمه).

ـ جهاد العلويين الحضارمة في دحض شبه المبتدعة الرافضة، ما زلت في جمع شتاته.

ج ـ المقالات العلمية والتربوية

ـ حول لقب شيخ الإسلام، نُشر بملحق التراث العلمي بجريدة البلاد السعودية.

ـ فوائد حديثية للعلامة عبد الرحمٰن المعلمي اليماني من خلال كتاب الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني، نُشر بملحق التراث العلمي بجريدة المدينة.

ـ أضواء على مخطوط الأمالي الحلبية للحافظ ابن حجر، نُشر بملحق التراث بجريدة المدينة.

ـ الانتساب للبيت النبوي هل يعني تشريفاً مجرداً أم يقرنه تكليفاً زائداً؟، نُشر في المنتديات العلمية عن طريق الانترنت.

ـ شرّ وعاء، دراسة عن شهوة الأكل المفرطة في زماننا، وظاهرة انتشار المطاعم السريعة، منشور بملحق التراث بجريدة البلاد.

ـ حول جبال الثلج الفضائية، نُشر بجريدة المدينة السعودية.

ـ الأخوة في الله بين الواقع والمثال، نُشر بمجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي بلندن، ومجلة مواكب الصادرة عن الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، والملحق العلمي بجريدة المدينة.

ـ طلب العلم بين السلف والخلف، نُشر بمجلة البيان اللندنية، والملحق العلمي بجريدة المدينة.

ـ نعم كانوا كباراً في كل شيء، نُشر بمجلة البيان.

ـ فراسة محدّث، نُشر بمجلة البيان.

ـ لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، في كشف عقائد الدروز، ينتظر نشره بمجلة البيان.

ـ من الصور المشرقة المعاصرة في ذب علماء السنة عن بعضهم البعض: كلمة الشيخ عبد المحسن العباد في حق المحدث الألباني، نُشر بملحق التراث العلمي بجريدة البلاد.

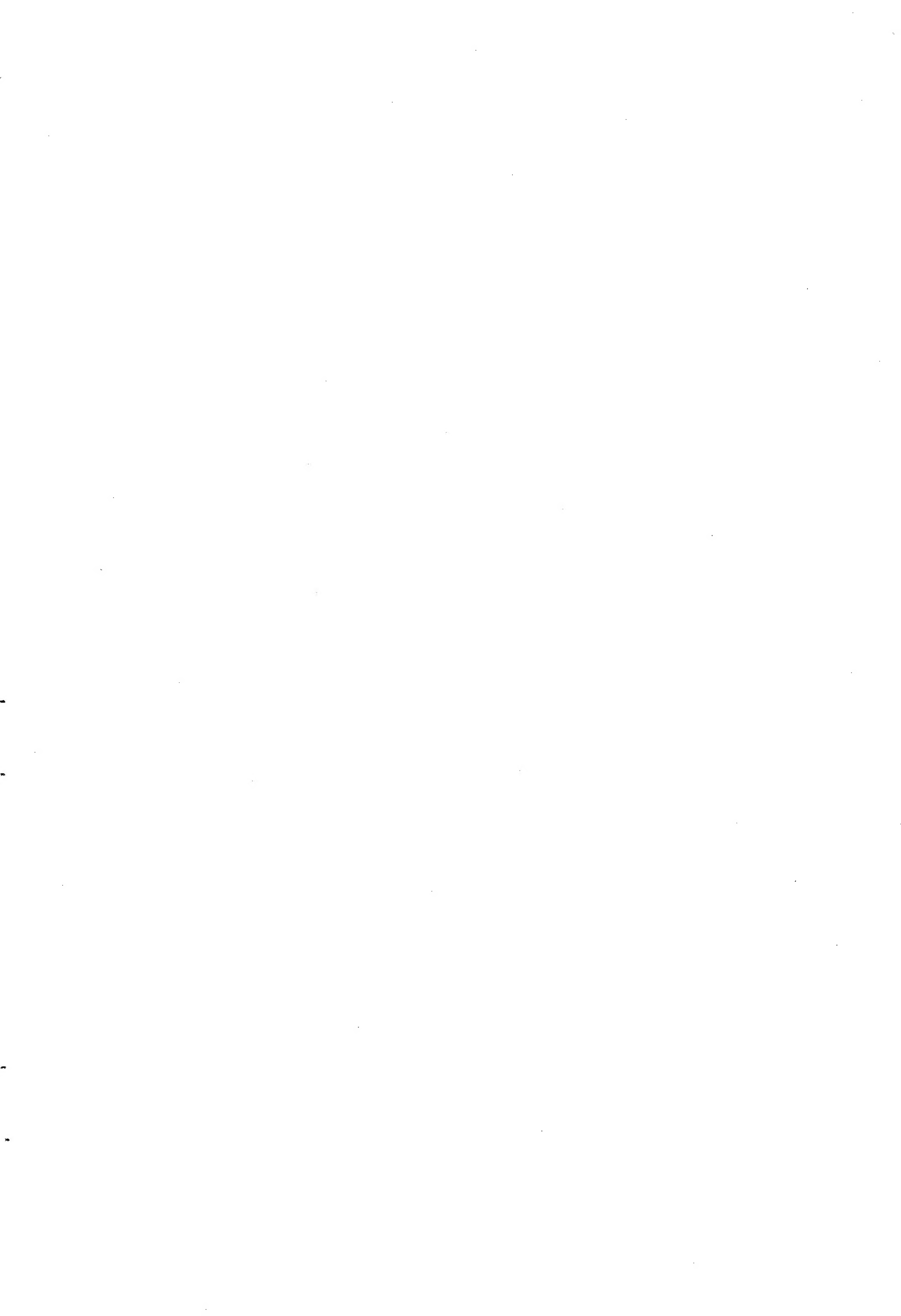
ـ في وداع الإمام ابن عثيمين: ما من مؤمن خير له من لحد قد استراح فيه، نُشر بملحق التراث.

ـ حوار هادىء حول آفة الفناء وأثره السلبي في المجتمع، يفترض نشره في جريدة الوطن.

ـ محمود شاكر... ليتني عرفته، (مخطوط).

ـ آل العمودي كانوا أصحاب كلمة ودولة... عبرة وعظة، لعلها تُنشر بمجلة الفيصل.

هذا والحمد لله أولاً وآخراً...



فهرس المحتويات